# التربية الإيمانية والإلحاد الجديد..
# ثنائية التأثير المتبادل

**Religious Upbringing and New Atheism:**

**The Dichotomy of Mutual Effect**


إعداد

**د. عزة رمضان العابدة**

**مدرس العقيدة والفلسفة**
**بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة**
**جامعة الأزهر**



بحث مقدم إلى :

**□المؤتمر الدولي الثاني لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا**
**□موقف أهل السنة والجماعة من التيارات والمذاهب الفكرية**
**الجهود – المناهج – القضايا**
**المنعقد في يوم**
**□١٠ محرم١٤٤٣هـ**
**□١٨ أغسطس ٢٠٢١ م**




التربية الإيمانية والإلحاد الجديد.. ثنائية التأثير المتبادل

عزة رمضان العابدة

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بالقاهرة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: azzaramadan@ azhar.edu.eg

الملخص:

الهدف من البحث هو القاء الضوء على تيار الإلحاد الجديد الذي لم يعد قاصرًا على تلك الطبقة المثقفة من المتخصصين والمفكرين، بل تجاوز ذلك الإطار الضيق المرتبط بالعلم والفكر والفلسفة، وأضحى جزءًا من المكونات المرتبطة بالعولمة والحداثة وما بعدهما. ساعدت على انتشار أفكاره التكنولوجيا بأشكالها المختلفة ووسائل التواصل الاجتماعي بتجلياتها المتنوعة، فكان الإلحاد الجديد الذي من أخص سماته أنه إلحاد "شعبوي"، وإن ظل محتفظًا في بعض جوانبه بمظاهره العلمية والفلسفية. لذا فإن الواقع يفرض علينا ضرورة بحثه من زوايا مختلفة، ودراسة العوامل التي ساهمت في الوصول إلى هذا النمط من التفكير والاعتقاد غير المعتاد المتمركز حول فكرة "أنسنة الإله". سواء كانت هذه العوامل دينية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية أو تربوية. والاهتمام، في المقابل، بطرق ووسائل التحصين منه، والحد من تأثيره وانتشاره.

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج التكاملي حيث جمعت بين المنهج الوصفي والتحليلي والنقدي كما ظهر في ثنايا البحث.

وكان من أهم النتائج التي تم التوصل إليها: ضرورة الاهتمام بالتنشئة الدينية المتزنة للجيل زد (مواليد منتصف التسعينيات وحتى عام ٢٠١٠م)، والجيل ألفا (مواليد ٢٠١١– ٢٠٢٥م)، كمدخل مهم من مداخل الوقاية والتحصين من مخاطر هذا الفكر الإلحادي الذي أخذ في التغلغل والانتشار بين شباب المدارس والجامعات بصورة ملحوظة في العقد الأخير. أيضا ضرورة ضبط التصورات الكلية والأساسية عن الله والانسان والكون والحياة، في خطوات متدرجة تناسب سن الطفل وتطوره العقلي ونموه النفسي والروحي. مع التركيز على تلك الأسئلة العقدية التي يلقيها الطفل على والديه أو المربين أو معلمي التربية الدينية، وتقديم إجابات بسيطة معرفيًا ومقنعة عقليًا ومشبعة روحيًا، وفق المنهج الأزهري، وبخاصة العقيدة الأشعرية التي تتميز بالاتزان، ومراعاة التوازن بين المكونات المعرفية والعقلية والروحية في البناء الإيماني للإنسان المسلم، مع مراعاتها أيضًا للواقع وتلبية احتياجاته (الإمام أبو حامد الغزالي نموذجا)، في مقابل المدارس الأخرى التي تشددت ووقفت على طرفي النقيض فكانت أسبابا داعمة للتطرف بنوعيه؛ الديني واللاديني.

الكلمات المفتاحية: التربية الايمانية – الالحاد الجديد – معضلة الشر– جيل زد – جيل ألفا

**Religious Upbringing and New Atheism:**

**The Dichotomy of Mutual Effect**

**Azza Ramadan Alabeda**

**, Department, Islamic and Arabic Studies for Girls in Cairo, Islamic Theology and Philosophy Al-Azhar University, Egypt.**

**E-mail: azzaramadan@azhar.edu.eg**

**Abstract:**

**This research aims to focus on new atheism which no longer confines itself to a class of intellectuals, but has become part and parcel of globalization and modernisation. Technology and social media helped in this, giving rise to New Atheism of which populism remains a characteristic feature, even if it sometimes maintains its scientific and philosophical appearance. This necessitates the investigation of its different aspects; and the study of the factors that helped in the rise of this anomalous pattern of thinking centered around the idea of 'the anthropomorphisation of the Divine' (ansanat al-ilāh), be them religious, psychological, social, political, or educational.**

**The researcher relied on the integrative approach that combined descriptive, analytical and critical approaches.**

**The most important outcome of this research is need for attention to younger generations to gain a balanced religious education and upbringing.**

**This kind of education starts when children become conscious of their surroundings, so that their relationship with their Lord could be built on solid foundations. This comes through the setting of their conceptions of God, man, the universe, and life on a correct basis, in a gradual process that suits the children's age, their mental development, and their psychological and spiritual growth. This also comes with emphasis on the questions related to religious doctrines that children ask to their parents, caregivers, and religious education teachers; and the provision of simple, convincing, and spiritually nourishing answers that are in accord with the Azharī approach, particularly the Ash'arī creed that has the virtues of being balanced and considerate of the epistemological, rational, and spiritual components of the religious education of the Muslim.**

**Keywords: Religious Upbringing – New Atheism – Evil Dilemma – Z Generation – A Generation.**

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الكون فأحسن صنعته، وخلق الانسان فأبدع صورته، وميزه على سائر مخلوقاته، واصطفى من ذرية آدم انبياء ورسلا حملوا مشعل الهداية ليضيئوا امام البشرية الطريق لما فيه خير الدنيا والاخرة، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين الذي ارسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

وبعد

فقد انحصرت جُل عناية المربين في العصر الحديث على الجانب العقلي والجسدي في بناء وتكوين الفرد، وأهملت الجانب الروحي الذي هو لب الانسان، فنتج عن ذلك جيل لا يعرف غالبيته حقيقة دينه ولا يستشعر أثره في نفسه وفي من حوله، ومن ثم فهو لا يرى حاجة ماسة الى الاكتراث به والتعرف عليه، فضلا عن الايمان به والثقة في اتباعه.

لذا كان لا بد من لفت الانتباه إلى أهمية التربية الإيمانية بصورتها الكاملة والمتدرجة خاصة في هذا الوقت الذي يتخبط فيه كثيرون ويتذمرون من خنق التيه والاكتئاب، بعد ان اجتمعت عليه عوامل واسباب شتى جعلته يتراجع من ميادين الإرادات النبيلة وعلى رأسها معرفة واجب الوجود إلى إرادات الحفاظ على الجسد وفقط. مما نتج عنه فقدان الانتماء والتسامي واصبحت مكانة الفرد تتحدد بمقدار ما يستهلكه في ميادين الحياة المادية. واليوم تدخل الأمة الإسلامية الألفية الثالثة وهي تبحث عن فلسفة تحدد ملامح طفل يستجيب لمتغيرات تلك الألفية، وتسعى إلى تحديد فلسفة تربوية تضع القيم والهداف، داخل هذا الغليان الأخلاقي، في معترك التبعية للغرب، والانصهار في بوتقته، والانبهار بتحولاته التكنولوجية والإعلامية.

إن الحداثة وما بعدها كادت أن تقضي على الجانب الإنساني الأخلاقي في شخصية الفرد المعاصر، لأنها فصلت بين العلوم الطبيعية التجريبية وبين العلوم الإنسانية والدينية، ثم حصرت الثانية والثالثة في تخصصات معزولة عن تيار الحياة الجاري، وجعلت مهمتها قاصرة على المشاركة في الترويح وتخفيف التوترات النفسية والاجتماعية الناتجة عن بيئة العمل والاستهلاك، في حين هيأت جميع الوسائل لتفجر المعرفة التكنولوجية واستعمالاتها الاجتماعية دون ارشاد او توجيه.

ولأن هذه الأمة وهذه الأجيال لن تصلح إلا بما صلح به أولُها، وانما صلح الأولون بما أنزله الله وبهدي نبيه وفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن سار على نهجهم من الائمة وعلماء أهل

السنة، مصداقا لقوله ﷺ: "خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[١] فلا تزال طائفة من هذه الأمة تقوم على حفظ أصول الدين في ذواتهم ونقله إلى من بعدهم جيلا بعد جيل، حتى وصل إلينا نقيا صافيا سائغا للشاربين. ثم لما كان الأمر الإلهي: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]، الذي لن يتم إلا ببناء الإنسان المسلم لينطلق في الحياة معمرا بعمله الصالح المؤسَس على معرفته بربه التي هي غاية الخلق والإيجاد، ومجال الابتلاء والاختبار، ومقياس النجاح والفلاح، كان لا بد من ضرورة الإعداد والتربية والتدريب على العمل الصالح وتوفير بيئاته ومؤسساته بعد تأسيس مقدماته، ولذا نجد في القرآن الكريم هذا العمل الصالح مقرونًا بالإيمان والعلم والحكمة والجهد المتواصل والتعاون الجماعي على البر والتقوى؛ تلبية لحاجات المجتمع الحاضرة، وعلاجًا لكثير من مشاكله الحاصلة.

أهمية الموضوع:

لم يعد الإلحاد قاصرًا على تلك الطبقة المثقفة من المتخصصين والمفكرين، بل تجاوز ذلك الإطار الضيق المرتبط بالعلم والفكر والفلسفة، وأضحى جزءًا من المكونات المرتبطة بالعولمة والحداثة وما بعدهما. ساعدت على انتشار أفكاره التكنولوجيا بأشكالها المختلفة ووسائل التواصل الاجتماعي بتجلياتها المتنوعة، فكان الإلحاد الجديد الذي من أخص سماته أنه إلحاد "شعبوي"، وإن ظل محتفظًا في بعض جوانبه بمظاهره العلمية والفلسفية. لذا فإن الواقع يفرض علينا ضرورة بحثه من زوايا مختلفة، ودراسة العوامل التي ساهمت في الوصول إلى هذا النمط من التفكير والاعتقاد والتعبير غير المعتاد المتمركز حول فكرة "أنسنة الإله"، والتي تقوم عليها معضلة الشر (دعوى أن وجود الشر في العالم يتعارض مع وجود إله عليم، حكيم، رحيم، عدل ) بوجه خاص، سواء كانت هذه العوامل دينية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية أو تربوية. والاهتمام، في المقابل، بطرق ووسائل التحصين منه، والحد من تأثيره وانتشاره.

من أجل هذا كان اهتمام الباحثة بموضوع "التربية الإيمانية" والتنشئة الدينية المتزنة للجيل زد **Z** (الجيل الذي يلي الألفية)، والجيل ألفا **A** (مواليد **2011** – ٢٠٢٥م)، كمدخل مهم من

---

[١] صحيح البخاري: رقم ٦٤٢٩، وفي صحيح مسلم: رقم ٢٥٣٣.

[٢] سورة آل عمران: ١٠٤.

مداخل الوقاية والتحصين من مخاطر هذا الفكر الذي أخذ في التغلغل والانتشار بين شباب المدارس والجامعات بصورة ملحوظة في العقد الأخير.

هذا النوع من التربية الذي يبدأ مع بداية وعي الطفل بما حوله، فتكون الفرصة سانحة حينئذ لبناء علاقته بربه على أسس صحيحة؛ من خلال ضبط التصورات الكلية والأساسية عن الله والانسان والكون والحياة، في خطوات متدرجة تناسب سن الطفل وتطوره العقلي ونموه النفسي والروحي. مع التركيز على تلك الأسئلة العقدية التي يلقيها الطفل على والديه أو المربين أو معلمي التربية الدينية، وتقديم إجابات بسيطة معرفيًا ومقنعة عقليًا ومشبعة روحيًا، وفق المنهج الأزهري، وبخاصة العقيدة الأشعرية التي تتميز بالاتزان، ومراعاة التوازن بين المكونات المعرفية والعقلية والروحية في البناء الإيماني للإنسان المسلم، مع مراعاتها أيضًا للواقع وتلبية احتياجاته (الإمام أبو حامد الغزالي نموذجا)، في مقابل المدارس الأخرى التي تشددت ووقفت على طرفي النقيض فكانت أسبابا داعمة للتطرف بنوعيه؛ الديني واللاديني.

إن الهدف الرئيس من طرح التربية الإيمانية هو بلورة هوية الإنسان الأصلية التي يحملها في قلبه وروحه؛ وآيات الله في القران الكريم تمد العاملين في مجال التربية بإطار عام لهذه الهوية، يظهر فيه أن الإنسان مفطور على الصلاح والخير، لكن فطرته هذه رقيقة وضعيفة يضربها المرض أحيانا، فيقع في براثن التشكك والتيه والانحراف عن معرفة الله، فيفسد في الأرض ويسفك الدماء، هنا تبرز أهمية التربية الإيمانية لكي تحصنه من قابلية المرض ومضاعفاته في الشر والإفساد.

ولما كانت التربية الايمانية في حقيقتها هي ربط المكلف بأصول الايمان وأركانه وشعبه وتربيته على العمل وفق الإحسان لتحقيق مراد الله تعالى منه، إذ التوحيد والإيمان هما الأصل والأساس الذي ينبني عليهما غيرهما ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [1]، لأن أول واجب على المكلف أن يُعمِل عقله الذي هو مناط التكليف فيما يوصله إلى العلم بمعبوده من البراهين القاطعة والأدلة الساطعة، إلا أن يكون قد حصل له العلم بذلك قبل البلوغ فليشتغل بعده بالأهم فالمهم.

من أجل هذا كان التركيز أولًا على الجانب العقدي؛ كما علمنا رسول الله ﷺ الذي ظل في مكة طيلة ثلاث عشرة سنة يعلّم أصحابه العقيدة ويربي فيهم الإيمان، حسب البناء المنطقي للدين الإسلامي الذي يبتدئ في ركنه الأول بإعلان توحيد الله سبحانه وتعالى والشهادة لسيدنا مُحَمَّد صلى الله

[1] سورة مُحَمَّد: ١٩.

عليه وسلم بالرسالة الخاتمة، ثم يبني على ذلك باقي الأركان والعبادات، مما يزيد الأساس ضبطا وتثبيتًا وتعميقًا في النفوس فتعرف ربها وتسلم أمرها إليه. هكذا فقِه الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم، منهج البناء والإصلاح وما يحتاجه من وعي ورؤية وصبر وحكمة في تهيئة النفوس، ففطنوا إلى أن الطريق طويل ولم يتعجلوا النتائج مثل ما فعل غيرهم من ذوي التفسيرات النفعية والتوظيفية للدين الإسلامي.

إن الإيمان هو المدخل والأصل والأساس وهو مناط النجاة يوم القيامة، عن أبي هريرة ري الله عنه قال، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحَابُّوا"[1]. ايضا الإيمان هو الزاد للمرء في مواجهة الشهوات، وقوة الإيمان هي أهم ما يعين المرء على الثبات، وهي العلاج الأنجع لكثير من المشكلات مثل معضلة الشر؛ إذ لا بد فيها من جزء إيماني لن يتأتي إلا بالتربية. لذلك كان لا بد من وضع برنامج ايماني للأطفال قبل مرحلة البلوغ لتعريفه بربه ونبيه ودينه، وذلك من خلال:

١- رسم تصور عام مبسط عن الإله والانسان والحياة.
٢- تعليم أركان الإيمان الستة الأساسية وبعض شعبه.
٣- ترسيخ معنى العبودية لله عز وجل والتأكيد على الفرق بين الخالق والمخلوق.
٤- الإيمان بالأمور الغيبية بطريقة بسيطة، والتأكيد على معنى مراقبة الله تعالى للعباد.
٥- التربية على محبة الله والنبي ﷺ وأصحابه.
٦- تعميق شعور الاعتزاز بالدين وتعظيم شعائره ودفع الشُبه عنه.
٧- التشجيع على التفكير وطرح الاسئلة.
٨- الإشارة إلى أن الدين لا يناقض العقل والفطرة السليمة، ولا يتعارض مع الحقائق العلمية.
٩- حث الطفل على التفكر في عِظم خلق الله في هذا الكون، ودقة صنعه وإحكامه، مع التذكير بِحِكم الله تعالى الظاهرة في أفعاله ومخلوقاته، كالحكمة من خلق الإنسان وخلق الشمس والقمر .. ونحو ذلك.
١٠- استثمار الأحداث الطارئة (أزمة كورونا على سبيل المثال) في توجيه الطفل وتذكيره بنِعم الله وحكمته، والانطلاق منها للحديث عن معضلة الشر بشكل مبسط، وتعميق بعض المعاني الإيمانية ودفع الإشكالات والشبهات المرتبطة بها.

[1] صحيح مسلم: رقم ٥٤

لكن هناك عدة إشكالات لا بد من أخذها في الاعتبار :

- التشابك المعرفي والوعي بهذه القضايا محدود للغاية؛ فعلى المستوى المعرفي تظهر لدينا إشكالية نقص المعارف والدراسات المتخصصة والاحصائيات واستطلاعات الرأي فيما يعرف بالدراسات الاستكشافية. كذلك على المستوى الاجرائي والذي يتمثل في نقص المعالجات او أدلجتها وتوظيفها فلدينا الكثير من الأبحاث والكتب التي تتحدث فقط عن العقيدة والإيمان من منظور ديني بأشكال واتجاهات مختلفة تبعا لفِرق ومذاهب وتيارات شتى. أيضًا لدينا العديد من الأبحاث والدراسات التي تهتم بجانب التربية سواء من منظور فلسفي تربوي أو نفسي أو اجتماعي. كذلك أصبح لدينا بعض المراكز والدراسات التي تهتم بمواجهة الفكر الإلحادي وتفنيد أسسه وحججه التي يستند إليها سواء من منظور دينيًا أو علمي أو فلسفي، وإن كان لافتًا للنظر ان معظم هذه الدراسات وتلك المراكز يسيطر عليها تيار بعينه، لذا تأتي معالجتهم قاصرة بالإضافة إلى ما تسببه من مشكلات عقدية بعد ذلك. لكن إذا كنا نتحدث عن دراسات جادة ومعالجات متكاملة تجمع بين التشخيص والدواء وطرق العلاج فهذا نادر جدا.
- قلة العناية بالأصول الكبرى في القضايا العقدية في وقت اشتدت الحاجة إليها وإلى التمسك بمقاصد الدين من الفتن المحدثة والانقطاع الحضاري عن قضاياه الكبرى، فمعظم النُخب في بلاد الإسلام لم يعد يشغلهم قضايا الدين وأصوله، بل أصبحوا أسرى رؤى فكرية وحركات اجتماعية تنتزع مقولات الدين من سياقاتها وتوظّفها في خدمة توجهات وأيدلوجيات معينة.
- التعامل مع القضايا النوعية إنما يتم بشئ من السطحية، يتجلى ذلك في العديد من الأبحاث التي ترتكز على الجانب النظري فقط سواء في موضوعات العقيدة أو الإلحاد أو التربية وتناولها بطريقة نمطية، دون النظر إلى الواقع ومشكلاته ومستجداته ومتطلباته، مما انعكس بشكل سلبي على المؤسسات المعنيّة، فبدت وكأنها معزولة عن الناس وواقعهم ومعاناتهم في حياتهم اليومية.
- مجموع التفاعلات الاجتماعية، وحالة المجتمع وبنيانه، تضعف عملية التربية والتحصين، فدور الأسرة الصغيرة والأسرة الممتدة كلاهما في تراجع. أيضًا دور المدرسة خاصة فيما يتعلق بحصة التربية الدينية ومعلميها. وكذلك دور الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي (السوشال ميديا) والانفتاح المعلوماتي مما يزيد من مخاطر اتساع دائرة الشك والالحاد.
- هناك أسباب متعددة لانتشار ظاهرة التشكك والإلحاد الجديد بين الشباب، لكن البيانات المتعلقة بالعوامل المؤثرة سياسيًا ودينيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وتحديد الأوزان النسبية لهذه العوامل

الدافعة والمحفزة للظاهرة غير متوفرة، مما يزيد من تعقد الموضوع وصعوبة دراسته والوقوف على سلم اولوياته.

- تزايد التساؤلات حول قضية وجود الشر في الآونة الأخيرة، مما يجعلها من القضايا الملحة سواء على مستوى البحث الأكاديمي أو على مستوى الواقع الواجب إدراكه حتى يتسنّى للمربين التعامل معه، خاصة في ظل انتشار الأمية الدينية التي لا تمكّنهم من تقديم الإجابات والمعارف اللازمة لحل هذه المعضلة.

هذه الإشكالات تضعنا أمام الأبعاد الثلاثة لهذا الموضوع محل البحث: البعد المعرفي والبعد النفسي والبعد الاجتماعي. ومن هنا تظهر أهمية التربية الإيمانية كمدخل لازم ومهم في بناء هذا الجيل، وإحداث التوازن بين أبعاد شخصيته المختلفة، خاصة في مراحل الطفولة المبكرة لوقايته من ظاهرة الإلحاد الجديد؛ الذي تستقر في لبه العميق معضلة الشر. وهو ما يقودنا إلى التساؤل الرئيس في البحث؛ حول حدود تأثير معضلة الشر كمدخل للإلحاد الجديد، وانعكاساتها الواضحة على اتساع دائرة انتشاره خاصة لدى الشباب، ومن ثم متطلبات تفعيل التربية الإيمانية. والتي يمكن صياغته كالتالي:

كيف تمثل التربية الإيمانية مدخلًا فاعلًا لتحصين الأطفال والشباب من الإلحاد الجديد؟

هذا السؤال الأساسي يتفرع عنه عدة تساؤلات أخرى تُعد في مجملها إشكالات فكرية تتعلق بانتشار الإلحاد الجديد، وركائزه الفكرية والنفسية، وأطُر وآليات التحصين منه.

منهج البحث: استخدمت المنهج التكاملي؛ حيث جمعت بين المنهج الوصفي والتحليلي والنقدي كما سيتضح في ثنايا البحث. مع اعتماد المنهج الأشعري في المعالجة؛ كمنهج عقائدي يمتاز بالوسطية والاعتدال قوامه بناء الإنسان والحفاظ على توازنه في أبعاده المختلفة.

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وأربعة محاور رئيسية، وخاتمة.

محتويات البحث:

- مقدمة
- المحور الأول: الإطار المفاهيمي والمصطلحات.
- المحور الثاني: العلاقات الارتباطية بين التربية الإيمانية والإلحاد الجديد.
- المحور الثالث:المنهج الأشعري ورؤيته التكاملية في التربية الإيمانية (الإمام أبو حامد الغزالي نموذجا)
- المحور الرابع: التحصين من الإلحاد الجديد؛ سبل ووسائل.
- خاتمة

## المحور الأول

## الإطار المفاهيمي والمصطلحات

يوجد العديد من المصطلحات التي تتقاطع مع القضايا محل البحث، لكني سأكتفي بالتركيز على أهم هذه المصطلحات كالتالي:

- مفهوم التربية: يتضمن مصطلح التربية دلالات لغوية متعددة تشير جميعها إلى ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربيوية من غرس وبناء وأنشطة مصاحبة لهما، ولفظ التربية من حيث الأصل اللغوي يُرَدّ إلى ثلاثة جذور:

١- الإصلاح: ربَّ الشئ اذا أصلحه[١] والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة؛ وإنما التعديل والتصحيح.

٢- النماء والزيادة: ربا يربو بمعنى زاد ونما[٢]، وفي هذا المعنى قوله تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[٣].

٣- التنشئة: رَبِيَ يربَى، على وزن خفي يخفى، نشأ وترعرع، ومنه قول الأعرابي:

فمن يكن سائلًا عني فإني بمكة منزلي وبها ربيت[٤]

يتبين من ذلك أن مفهوم التربية في اللغة العربية يُقصد به: إصلاح الفرد وتهيئته وتنشئته على الصلاح، مع التكفل بحسن القيام به، والتدرج في ذلك، وكذا المداومة وعدم الانقطاع المتضمن للنماء والزيادة، وذلك في كل ما يتعلق بالإنسان في جوانبه المتعددة: الروح والعقل والجسد.

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة التربية فعلى الرغم من كونه يعتمد كثيراً على المعنى اللغوي، إلا أنه يختلف من عصرٍ إلى عصر، ومن مكانٍ إلى آخر، وما ذلك إلا لأن العملية التربوية كثيراً ما تتأثر بالعوامل والتغيرات الزمانية والمكانية والاجتماعية التي تؤثر بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة على شخصية الإنسان في مختلف جوانبها، على اعتبار أن كل نشاط أو مجهود أو عمل يقوم به الإنسان يؤثر في تكوينه، أو طباعه، أو تعامله، أو تكيفه مع البيئة التي يعيش فيها ويتفاعل مع من فيها وما فيها؛ سلباً أو إيجاباً. لذلك فإن التربية الإيمانية في معناها الاصطلاحي لا تخرج عما تقدم ذكره، فالتربويون

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط٣، (٤٠١/١).

[٢] الفيومي، المصباح المنير، تحقيق: عبدالعظيم الشناوي، ط٢ دار المعارف ، ص٢٩٦.

[٣] سورة الحج: آية ٥.

[٤] ابن منظور، لسان العرب (٤٠١/١).

المسلمون يعنون بها تنشئة الفرد وإعداده على نحو متكامل في جميع الجوانب؛ العقدية والعبادية والأخلاقية، وتنظيم سلوكه وعواطفه، في إطار كلي يستند إلى شريعة الإسلام، من خلال الطرق والإجراءات التي تقرّها الشريعة. ونحن وان كنا نركز ونؤكد على ضرورة وأهمية التربية الإيمانية في الصغر، إلا أنها لا ينبغي أن تنقطع أو تتوقف عند فترة معينة، لأن الأمر الذي يستوجبها دائم لا ينقطع ولا يتوقف حتى الموت، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [١].

- الفرق بين الرعاية والتربية: ينبغي أن يعي الأبوان الفرق الكبير بين الرعاية التي هي عبارة عن الاهتمام بأساسيات الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، ومن ثم فانها تركز على الجانب البدني ومتطلباته فقط دون الاهتمام بباقي الجوانب، كما أنه يمكن ان ينوب فيها عن الابوين شخص آخر. أما التربية فهي غرس العقيدة والقيم والأخلاق، لذا جاء التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [٢]، وكأم التربيةخُصّت بالذكر؛ ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في تربيته، فيزيده ذلك إشفاقا لهما وحنانا عليهما في حياتهما، ودعاء لهما بالرحمة بعد موتهما، وهذا كله في الأبوين المؤمنين، مما يتبين معه أن التربية تحتاج إلى بذل وقت وجهد ومشقة.
- الفرق بين التعليم والتربية: هذان المصطلحان إذا تفرقا اتحدا في المعنى ودخل كل منهما في الآخر، واذا اجتمعا استقلا؛ بمعنى أنهما إذا ذُكرا في سياق واحد، فإنه يصبح لكل منهما معنى مستقلا، فالتربية تأخذ معنى العمل القائم على دعائم العلم، والتعليم يأخذ معنى التزويد بالمعارف والمعلومات. أما إذا ذكرت التربية وحدها فإنها تشمل التعليم أيضا، وكذا التعليم إذا ذكر منفردًا فإنه يشمل التربية، إذ لا يكون للتعليم فائدة إلا إذا تبعه العمل. وهذا يعني أن الحرص على التعليم فقط والتفوق فيه من غير أن يتبعه عمل وتطبيق، لا يضمن بالضرورة تقديم جيل حسن أو فاضل، وفي المقابل يمكننا أن نجد فئات حسنة التربية وإن كان محصولها العلمي قليلا. لذلك لم تكن وظيفة الرسل هي التعليم فقط، بل تعدته إلى التربية والتزكية، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي

[١] سورة الحجر: ٩٩ .

[٢] سورة الإسراء: ٢٤.

ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[١].

- ومن المصطلحات المرتبطة أيضا: مصطلح الأدب أو التأديب وهو وثيق الصلة بمصطلح التربية حيث يمكن تسمية المعارف آداباً ؛ وتسمية التعليم تأديباً، وتسميةُ المربي أو المعلم مؤدباً. ولفظ الأدب يدل على معنى كلمة تربية الأبناء وتنشئتهم على التحلي بمحاسن الأخلاق، وجميل الطباع. كما أن هذا المصطلح قد شاع استعماله عند كثير من العلماء والفقهاء والمفكرين المسلمين القدامى ومنهم: محمد بن سحنون التنوخي (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) في رسالته (آداب المعلمين والمتعلمين)، والماوردي ( المتوفى سنة ٤٥٠هـ) في كتابه ( أدب الدنيا والدين)، والنووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ) في كتابه (آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي، من المجموع) وغيرهم.
- مفهوم الإلحاد[٢] **Atheism**: الإلحاد في اللغة: هو الميل أو الانحراف عن الوسط المعتدل[٣]. وفي الاصطلاح الفلسفي هو: "نهج في التفكير يرفض الاعتقاد بما يتجاوز الطبيعة فكرًا ووجودًا ومثالًا متطلبًا"[٤]. فالمذهب الإلحادي يُبنى على المادية التي تنبذ كل تصور فكري يُخرِج الإنسان من دائرة واقعه المحسوس، ويعلل الظاهرة الدينية فيرجعها إلى أصولها الثقافية والاجتماعية والنفسية.

ومما لا شك فيه أن المذهب الإلحادي واكب في تطوره تطور العلوم والمعارف، وكان في كل حقبة يعكس حقيقة المستوى المعرفي في الفكر الإنساني. "لقد مرّت فكرة الإلحاد بمسارات دلالية متنوعة، فيها ما يشير إلى زحزحة معنى مباحث الإلهيات عن معناها الحقيقي، كما أن فيها من التنكر والجحود للقيم المنتسبة للدين، فضلًا عن التشريعات والأحكام الدينية. هذا ولم تبتعد الفكرة عن رفض الدين والإيمان الغيبي"[٥]. فالإلحاد بينه وبين الإيمان ضدية وجودية (إذ قد يرتفعان ويبقى الإنسان

---

[١] سورة الجمعة: ٢.

[٢] في العصر الحديث طرأ على مصطلح الإلحاد في البحث العقدي الإسلامي شئ من التطور ليقترن مفهومه بحالة عقدية خاصة وهي عدم الايمان بوجود الإله، ويكون هذا اللفظ ترجمة للموقف العقدي الذي يعبرون عنه بمصطلح Atheism ، ويبدو أنه كان ثمة محاولات لوضع لفظة عربية مناسبة مثل الدهرية مثلا، لكن اللفظة التي اشتهرت في المجال العقدي الحديث كمقابل عربي لهذه المصطلح الأجنبي هي الإلحاد.

[٣] ابن منظور: لسان العرب، ٣/٣٨٩. وانظر المعجم الوسيط مادة لحد، ٢/٨١٧.

[٤] مشير باسل عوني: نظرات في الفكر الإلحادي الحديث، ط١ ٢٠٠٣م، دار الهادي، ص٩٣.

[٥] شفيق جرادي: الإلحاد أيدلوجيا الإنسان المبتور، مجلة لمحجّة، العدد ٣٢ عام ٢٠١٧م، ص ١٣.

لأدريًا)، إلا أنهما لا يتعادلان في القيمة والاعتبار، فإذا كان الإيمان موجبًا ويكتسب أصالته من تعلقه بواجب الوجود، فالإلحاد سالب ومحتكم إلى النقص لتعلقه بعالم الممكنات. وإذا فلا نسبة وجودية للإلحاد إلا بصفة كونه نفيًا للإيمان وضدًا له. "وبهذا لا يكون للإلحاد بيانًا وحضورًا إلا كنفي لما هو موجود بالفعل.. وهو الإيمان بحقيقة الوجود. فالملحد هو الذي ينفي بالقوة ما يعتقد به المؤمن بالفعل"[1].

لقد شهد العصر الحديث مولد "مذهب" في الإلحاد؛ مذهب كامل التكوين يرمي إلى استبعاد الله من معتقداتنا بلا شرط ولا قيد، ثم يعمد بعد ذلك إلى تأليه الإنسان ذاته. كان من النادر قبل ذلك القرن أن يعتنق الإلحاد علانية مفكرون بارزون؛ إذ كان يُنظر إليه على أنه موقف سلبي هادم. أما في الفترة التي أعقبت هيجل ومن بعده داروين فقد اعتنقه بعض زعماء الفكر الذين أضفوا عليه طابعًا من العلمية والاستقلال الفكري، بل ومن التداول الشعبي. وقد نجحوا في هذا بأن ربطوا بين الإلحاد وبين الاتجاهات الرئيسة في حياتنا العلمية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية.

وبدلًا من أن يبقى الإلحاد موقفًا سلبيًا عقيمًا، أضحى مقوّمًا بنّاءًا – في زعمهم – من مقومات الاتجاه العلمي الإنساني في العصر الحديث. ومن الجلى أن هذا الانقلاب في أوضاع الملحدين لم يكن من صنع مجموعة قليلة من العلماء والفلاسفة، بل أننا نجد تمهيدات طويلة للفكر الإلحادي عند الشكاك والسوفسطائيين وغيرهم، وأيضا بعض الظروف المشجعة في المجالات العلمية والثقافية خاصة في ما يُعرف بعصر التنوير.

دوافع الإلحاد: يرى الملحدون أن جوهر العالم مادي، وأن حقيقة الوجود أو الكون هي المادة، كما أنها هي منبع المعارف والوعي والعقل. إن العلم الطبيعي لا يمثل بالنسبة للملحدين سوى حفرة يتخندقون بداخلها، هذا هو القدر المشترك الذي يتفقون عليه، والذي يمثل أصل الإلحاد. لكن تظل هناك دوافع وأسباب مختلفة وراء هذا الموقف، هذه الدوافع جعلت بعض الباحثين والمهتمين بهذا التيار يصنّفون الإلحاد والملحدين تبعا لدوافعه وأسبابه. لذا من الأهمية بمكان أن نتعرف على تلك الأنواع، لنعرف خلفياتهم ومنطلقاتهم حتى يمكننا بعد ذلك مناقشتهم والتعامل معهم:

١- إلحاد أنثروبولوجي **Anthropological Atheism** : وهذا الاتجاه من الإلحاد يذهب إلى الاستدلال بالنظريات الأنثربولوجية والتشابه فيما بين الحضارات البشرية لإثبات زيف الأديان

[1] محمود حيدر: تدني الإلحاد، مجلة الاستغراب، ربيع ٢٠١٧م، ص٩.

ونفيها ومن ثم نفي الإله، كالاستدلال على زيف القرآن بقصة الطوفان التي يزعمون أنها مسروقة من التراث البابلي.

٢- إلحاد فلسفي **Philosophical Atheism** : وُلد في سياق الصراع الممتد على طول التاريخ، حول الإله لاعتباره الكائن الأسمى وأصل الوجود، والذي طرحت في ظله كل الأسئلة الوجودية التي شغلت الفلاسفة عبر التاريخ الإنساني. إنه الالحاد الذي عرفته أوروبا في صيرورتها من التقليد الى الحداثة، فأنكر الملحدون الحقيقة الإلهية من خلال موقف معرفي مسئول، نتج عنه العديد من النظريات الفلسفية والنفسية والاجتماعية.

٣- إلحاد علمي أو ما يعرف بالعلموية **Scientism**: وفيه اعتبار المادة هي حقيقة الوجود وجوهر العالم ومنبع المعارف والوعي والعقل وهذا يتضمن نفي أي وجود غير مادي، هذا النوع من الإلحاد يخلط بين العلم الطبيعي وبين الفلسفة، فإن واجهتهم مشكلات فلسفية فسوف يمّنون أنفسهم أن العلم الطبيعي سيحلها ولو بعد حين، يتضح ذلك من خلال انتظارهم ل"نظرية كل شئ" أي؛ نظرية واحدة يفسرون بها أو من خلالها جميع ظواهر الكون، هربًا من الحاجة إلى إله أو أي تفسير غيبي.

٤- إلحاد اجتماعي **Social Atheism** : يأتي من خلفية اجتماعية، بالمعنى الواسع للمجتمع، فهو بمثابة إعلان رفض الإله من خلال النظر إلى واقع مجتمعاتهم البائس على أنه نتاج التمسك بالدين، وهؤلاء يخلطون بين العادات والتقاليد المبنية على ظروف اجتماعية معينة والشريعة الدينية، متصورين أن ما هم فيهم يناقض وجود العدل الإلهي.

٥- إلحاد نفسي **Psychological Atheism** : وهذا الاتجاه أصحابه يتخذون مواقف نفسية سلبية من المتدينين أو من السلطة الأبوية التي يسقطونها على الدين وعلمائهم فيتهمونهم بالوصاية والوساطة والتسلط، مما ينفّرهم من الدين ككل، أو أنهم يرون في الدين قيدًا لهم بسبب ما فيه من تكاليف، أو نتيجة تصورات ساذجة ومغلوطة في فهم الدين والتوحيد[١].

- الإلحاد الجديد **New Atheism**: مصطلح أطلقه الصحفي جيري وولف **Gray Wolf** عام ٢٠٠٦م في مقالة كتبها بمجلة "وايرد" الريطانية بعنوان: كنيسة غير المؤمنين، ليصف موجة

---

[١] لمزيد من التفصيل حول الإلحاد ودوافعه انظر على حمزة زكريا: أنواع الإلحاد، ٢٠١٦م شبكة الفكر، وكتاب عشرة أنواع للإلحاد، دوافع الملحدين والمتشككين: أليكس ماكفريلاند، ترجمة: القس جورج عزت، ط١ ٢٠١٤م دار الثقافة. وكتاب دعاوى إلحادية في الفكر العربي المعاصر: أسامة العتابي، ط١ ٢٠١٧م مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة.

الإلحاد التي انتشرت في الغرب بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، والتي على اثرها انتقل الدين من كونه قضية على هامش اهتمام ملحدي الغرب إلى أن يكون واحدًا من أهم قضاياه، فيما يعرف بإلحاد القرن الواحد والعشرين.

تيار الإلحاد الجديد: لم يكتف هذا التيار بما عليه الإلحاد المعاصر من إحياء للفلسفة الوضعية بما فيها من نظرة مادية، بل رفض التعايش مع الدين والمتدينين. ولم يكتف برفض الألوهية ومحاولة نقض المفاهيم الدينية، لكنه تبنى أسلوب الهجوم والسخرية. "وقد قام هذا التيار العدائي على اثر كتابات ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بين عامي ٢٠٠٤-٢٠٠٧م لمجموعة من الملحدين[١]، على رأسهم عالم الأحياء ريتشارد دوكينز من خلال كتابه (وهم الإله)، وكذلك الفيلسوف دانيل دينيت في كتابه (كسر التعويذة، الدين كظاهرة طبيعية)، وطبيب الأعصاب سام هاريس وكتابه (نهاية الإيمان)، والإعلامي كريستوفر هيتشنز في كتابه (الإله ليس عظيمًا، كيف يسمم الدين كل شئ)، ويعرفون في كثير من الدوائر الغربية باسم الفرسان الاربعة[٢]".

الفرق بين الإلحاد التقليدي والتيار الجديد[٣]: بعد أن كان الإلحاد التقليدي في سياقه التاريخي يميل إلى الحيادية من الموقف الديني، بل كانت قضية الإيمان بوجود إله مجرد قضية شخصية، حتى جاء تيار الإلحاد الجديد بطبيعته الهجومية ولغته العدائية للدين والمتدينين. فالإلحاد السابق كان يرفض وجود الإله وكل ما يتعلق به من نبوات وأديان، ثم يتجاوز ذلك كله ويبدأ في إيجاد تفسيرات مادية للوجود من حوله. أما الإلحاد الجديد فلا يتجاوز الأمر؛ بل يتخذه هدفًا للنقض والهجوم المستمر، فيعتبر الإله مصدرًا للشر في العالم، والدين سببًا في زيادة البغضاء والكراهية بين الناس، ولذلك فهو يدعو صراحة إلى عدم التسامح معه وعدم القبول به في أي مجال. يعتبر أن تعليم الأطفال أي شئ ديني من قِبل الوالدين جريمة في حق أولادهم، حتى ان البعض قد أطلق على هذا التيار الجديد "ميليشيا الإلحاد"[٤] و"الأصولية الإلحادية" لاقترابه أسلوبًا ومنهجًا من الأصوليات الدينية بمعناها السلبي.

---

[١] تسيطر على الملحدين الجدد نفسية عدائية (نفسية الاستفزاز) تسربت إلى أتباعهم خلال حملتهم التبشيرية بالإلحاد، وسيطرت على أقوالهم وأفعالهم وحتى كتاباتهم وأطروحاتهم، عبدالله بن صالح العجيري: ميليشيا الإلحاد، ط١ ٢٠١٤م، مركز تكوين، ص٤٣- ٤٩.

[٢] عمرو شريف: وهم الالحاد، ٢٠١٣م، هدية مجلة الأزهر لشهر المحرم ١٤٣٥هـ، ص ٢٨-٢٩ بتصرف.

[٣] تنبّه بعض الباحثين الى أحد الفوارق بين نمط الإلحاد في الفضاء الغربي وحالته في الفضاء العربي الإسلامي وذلك في سياقات تاريخية متقدمة، انظر ميليشيا الإلحاد، ص١٨.

[٤] انظر عبدالله بن صالح العجيري: ميليشيا الإلحاد، مركز تكوين، ط٢ ٢٠١٤م.

**من أهم الاختلافات أيضًا أن الإلحاد التقليدي كان يتشكل ضمن رؤية فلسفية للعالم مثل الماركسية والوجودية؛ أي أن موقف الإلحاد كان يأتي ضمن النتائج النهائية لهذه الرؤية. أما الإلحاد الجديد فهو إلحاد من أجل الإلحاد؛ حيث يبدأ به كمقدمة وينتهي إليه كنتيجة، وليس موقفًا فلسفيًا أو نتيجة في طريق البحث عن الحقيقة، ومن ثم فقد استبعد الفلسفة والمنطق بشكل كبير، وتعامل مع الجمهور بلغة بسيطة وسهلة، مستغلًا القصور المعرفي والاختلال النفسي[1] عند بعض الشرائح المجتمعية خاصة الأجيال الجديدة التي تتوافق سمات معظمه مع سمات هذا التيار[2]، فكان هذا جزءًا مهمًا من أسباب انتشاره وتأثيره. لقد تحوّل الإلحاد إلى ظاهرة لها جاذبيتها الخاصة من خلال رموزها الذين يتمتعون بشهرة وكاريزما عالية وأسلوب لافت وطريقة في الحديث مؤثرة فتحول من حالة فلسفية مقترنة بمشهد أكاديمي إلى نمط يعلن عن نفسه وبما يتمتع به من شهرة وجاذبية.**

**"لقد أصبح الإلحاد الجديد نمطا أكثر جذرية، لأنه عمل على مواجهة جذرية مع الدين وسعى الى تقويض لغته، وإظهار انفصالها عن الحياة، فهي بالنسبة إليه ليست أصلًا في المواضعة، وهي قادمة من خارجه، وتعمل على تخريب اللغة وجعلها تابعة للنزعة الأيدلوجية والاعتقادية للإنسان، ولهذا قدّمها كلغة سلطوية، تعتمد على الرهبة والتقنين، لا تملك مشروعية ذاتية، والغاية من ذلك جعلها فاقدة للمعنى، ليقدم بالمقابل مشروعه الذاتي المبني على إعادة صياغة لغة جديدة تنتج عن قيم وأخلاق يسعى لتعميمها، يستطيع من خلالها بناء مجتمع إنساني جديد، يقوم على حداثة كانت قد قُوّضت عندما أُبقيت لغة الدين فاعلة في اللغة. وهذه النظرة تشّكل خطرًا ليس على اللغة فحسب، بل على الإنسان بكليته ووجوده، لأنه يؤسس للإنسان المبتور الذي من المفترض أن يهجر تاريخه"[3].**

- **معضلة الشر، ويتم طرحها كالتالي:**

---

[1] يتجلى هذا بوضوح في العجز عن الملاءمة بين ممارسة التدين في مراتبه العالية والتعامل مع مخرجات الحضارة المادية الشهوانية المعاصرة، فنجد البعض منهم يختارون التضحية بالتدين مع إيجاد بعض المبررات الظاهرة لرفض منظومة الدين بأكمله.

[2] كثير من حالات الإلحاد لدى الشباب لا يجدي معها الحوارات الدينية التقليدية ولا يقنعها الأدلة والبراهين لأن أصل المشكلة ليس دينيًا، بل إن تقديم الحجج قد يغري البعض بالكثير من الجدل، الذي يتقنه جيدًا، لا لشئ إلا لإثبات قدرته على إفحام محدثه وتحقيق انتصار عليه، وإثبات نفسه ومبرراته في موقفه، يظهر هذا بوضوح مع الشخصيات الحدية المتقلبة في مشاعرها ومعتقداتها وقناعاتها، وكذلك الشخصيات البارانوية التي تتصف بالاستعلاء وسوء الظن والشك في الآخرين.

[3] أحمد ماجد: لغة الإلحاد المعاصر بين شرطية لغة الدين وإعادة برمجة الإنسان، المحجة العدد ٣٢ عام ٢٠١٧م، ص٧٧.

**من صفات الإله أنه كلي العلم (علمه محيط بكل شئ؛ ما حدث وما يحدث وما سيحدث)، كلي القدرة (يستطيع فعل كل ما يريد)، كلي الخيرية (يحب الخير ويفعل الخير)، هذه الصفات لا يصح أن تجتمع في إله هذا العالم المليئ بالألم والشر والحروب والكوارث[1]. ومن ثم يصلون إلى نتيجة مفادها: ان الإله هذا إما أن يكون غير موجود، أو أنه موجود لكنه إله شرير خلق الخلق ليعذبهم. هذا التصور ينبني عليه أسئلة عديدة من أهمها:**

- **إذا كان الله غنيًا عن كل شئ فلماذا يعذبنا؟**
- **لماذا يسمح الله بوجود الظلم؟**
- **لماذا التفاوت في الأرزاق سواء في المال أو الصحة أو الجمال وغير ذلك؟ أليس هذا التفاوت يتعارض مع العدل الإلهي؟**
- **لماذا تنزل المصائب والكوارث أحيانا بشكل جماعي على الناس؟**
- **هل نحن مخيرون أم مسيرون؟ وإذا كان الله قد كتب الكفر على البعض، فما فائدة البحث عن الإيمان؟**
- **إ ذا كانت هناك حكمة في المصائب، فماذا عن الأطفال والمجانين وما يتعرضون له من قتل وتعذيب مع أنهم ليسوا مكلفين؟**
- **لماذا يعاقب الله بعض المجتمعات المسلمة بالفقر والمعاناة بينما يترك مجتمعات منحلة دينيًا وأخلاقيًا في أمن ورغد من العيش؟**

**نعم قد يبدو وجود الشر هكذا غير مفهوم وغير مقبول إذا ما نظرنا إليه من زاوية عاطفية غير عقلانية هي زاوية طموحات الإنسان وأمانيه او من زاوية علمية تجريبية بحتة، لا تأخذ في حسبانها**

[1] تعرف أيضا بمعضلة أبيقور؛ ذلك أن أول من طرح هذه القضية هو الفيلسوف الإغريقي أبيقور (ولد في أثينا أو ساموس سنة ٣٤٢ ق.م)، كما تعرف بالثلاثي غير المتسق؛ لانه كما يقول ابيقور: الشر موجود أصلا في الدنيا، وهذا يعني انه أمام ثلاثة احتمالات تفسر وجوده وهي:

أنه ليس هناك إله أصلا ليمنع وجود الشر، أو هناك إله وهو يريد منع الشر إلا انه لا يريد ذلك، أو هناك إله وهو يستطيع منع الشر، إلا أنه لا يريد ذلك. ويزعم ابيقور أنه أمام خيارات ثلاث فقط، وهي عدم وجود الإله، او وجود إله عاجز، أو وجود إله شرير. انظر كامل عويضة: أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية، دار الكتب العلمية، ط١ ١٩٩٤م.

**غائية الطبيعة، أو من زاوية أخلاقية وضعية لا تراعي إلا حرية الإرادة، لكن عندما ندرج الكل ضمن رؤية ميتافيزيقية، تنضبط الدلالات وتزول التناقضات[١].**

- **مفهوم الجيل: يعد مفهوم الجيل مفهومًا أساسيًا في دراسة وتفسير الظواهر المرتبطة بالتطور التاريخي وتحليل العوامل المحددة للتغيرات الاجتماعية، "فكلمة Generation ذات أصل إغريقي، إلا أن هذا المفهوم بمعناه الغربي قد تبلور في النصف الثاني من القرن التاسع عشرومطلع القرن العشرين، نتيجة للتحولات التي شهدتها أوروبا، والتي أفرزتها حركات اجتماعية قائمة بالأساس على العنصر الشبابي[٢]، إضافة الى التيارات المتنامية التي بدات تبحث عن نهج علمي لفهم التاريخ، وطرح بالتالي مفهوم الجيل كأداة لقياس الزمن التاريخي[٣]"، فالجيل هو مرحلة التعاقب الزمني من أب لابنه وقد كانت متوسط مدته في السابق تتراوح بين (٢٣–٣٠ ) عاما.**
- **الجيل زد z: لا توجد تواريخ محددة لبدء وانتهاء هذا الجيل، فعلماء الديموغرافيا يطلقونه على مواليد منتصف عقد التسعينيات إلى منتصف عقد الألفين كنقطة بدء الجيل، ولذا يُطلق عليهم الجيل الذي يلي الألفية. ومن ثم فهم مواطنون رقميون شفرتهم عالمية، نشأوا في عصر المعلومات والتقنيات والهواتف الذكية والشبكات والوسائط الرقمية، وبذلك يكون المحدد الأهم في تعريفه هو الثورة الاتصالية والمعرفية التي وسمت تنشئته وكونت رؤيته للعالم المحيط به داخليًا وخارجيًا.**

---

[١] لمزيد من التفصيل حول مشكلة الشر وما يتعلق بها من شبهات فرعية وتفكيك هذه الشبهات، انظر: سامي عامري: مشكلة الشر ووجود الله الرد على أبرز شبهة من شبهات الملاحدة، مركز تكوين ٢٠١٦م. وأحمد حسن: أسس غائبة، ٢٥ مسألة في مشكلة الشر، مركز دلائل ٢٠١٨م. زيجمونت باومان وليونيداس دونسيكس: الشر السائل العيش مع اللابديل، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية ٢٠١٨م. ودانيال سبيك: مشكلة الشر، ترجمة: سارة السباعي، المركز القومي للترجمة.

[٢] يمكن وصفُ الشباب على نطاقٍ واسع بأنه مرحلةٌ يخرج خلالها شخصٌ من الاعتماد (الطفولة) إلى الاستقلالية (البُلوغ) فلأغراض إحصائية، تُعرِّف الأممُ المتحدةُ الشبابَ بأنهم أفراد في أعمار 24 – 15 عامًا. ويشمل هذا النطاقُ أولئك المعترَفَ بهم رسميًّا في أهداف الأمم المتحدة الإنمائية للألْفية بأنهم في شبابهم، وأولئك الذين يُصنِّفهم كُثُرٌ بأنهم مراهقون. باستخدام تصنيفٍ آخر، تُحدِّد مبادرةُ شباب الشرق الأوسطِ الشبابَ بأنهم ذَوو أعمار١٥–٢٩ عامًا. وقد جرى تبنّي هذا النطاق هنا ليَعكس التحوُّلاتِ المطوّلةَ إلى مرحلة البلوغ التي تواجه كُثُرا في المنطقة. لا يُكوِّن الشبابُ مجموعةً متجانسة، حيث أوضاعهُم الاجتماعية– الاقتصادية والديموغرافية والجغرافية تتباين على نطاقٍ واسع داخل البلدان وفي ما بينها. لكنْ رغم هذه التبايُنات، يمكن لتحليلٍ إقليمي توفيرُ فهمٍ أوسعَ لِملامح تنمية الشباب. تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠١٦م الشباب وآفاق التنمية الانسانية في واقع متغير الصادر عن برنامج الامم المتحدة الإنمائي.

[٣] وليد المطري: سوسيولوجيا الأجيال على موقع اضاءات بتاريخ ٢٣–١٠–٢٠١٦م، بتصرف.

"فالعديد من التوجهات والأفكار تشير اليها الدراسات النوعية والمتخصصة التي تناولت دراسة هذا الجيل في العديد من دول العالم، لكنها في المقابل تطرح المشكلات والتحديات التي تفرض نفسها على الواقع الاجتماعي له بدرجة أكبر وأكثر حدة مثل: انهيار العلاقات الاجتماعية والأمراض النفسية خاصة الاكتئاب والمنظومة القيمية الحاكمة وعلاقتها بإعلاء القيم المادية والنفعية والاستهلاكية"[١].

- الجيل ألفا **A**: يشير هذا المصطلح إلى الجيل الأصغر من الجيل **z**[٢]، أي الأطفال الذين ولدوا في العقد الثاني من هذه الألفية (بعد عام ٢٠١٠م ) في الفترة التي تعرف بثورات الربيع العربي، فهم ينتمون لأُسَر جيل الالفية، ويُعتبر هذا الجيل في طور التكوين الآن، لذا فهو المعني بعملية التربية الإيمانية والقابل لها، خاصة إذا عرفنا أن عددًا لا بأس به من هذا الجيل يبدأون في طرح أسئلتهم الوجودية وهم في سن الخامسة، وهم مستهدفون بالفعل من قبل المؤسسات الالحادية[٣].

[١] أيمن السيد عبدالوهاب: افتتاحية العدد جيل Z المصري، من مجلة أحوال مصرية الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد ٧٨ لعام ٢٠٢٠م، ص ٨.

[٢] ليس هناك دراسات عربية دقيقة ترسم خريطة هذين الجيلين، بل المتاح فقط هي دراسات غربية واسرائيلية، مما يعكس حجم الأشكال والتحدي عند دراستهما في واقعنا العربي والإسلامي، انظر المصدر السابق ص٨.

[٣] هناك العديد من البرامج التي تقوم بتمرير بعض الأفكار الالحادية من خلال أفلام كارتونية وبرامج ترفيهية، بل ان هناك موقع إلحادي مصمم خصيصًا للأطفال تحت عنوان: أطفال بلا إله https://www.kidswithoutgod.com

## المحور الثاني

## العلاقات الارتباطية بين التربية الإيمانية والإلحاد الجديد

إن العلاقات الارتباطية والتأثيرات المتشابكة بين تيار الإلحاد الجديد –وفي القلب منه معضلة الشر– من جهة والتربية الإيمانية كمدخل للتحصين والوقاية منه من الجهة الأخرى، تحتم علينا أن نستكشف تلك العلاقات والتشابكات بين الأسباب والدوافع لهذا الانحراف الفكري، وبين متطلبات التحصين والبناء الإنساني خاصة في مراحل الطفولة المبكرة. حيث إن الاهتمام بهذه المراحل العمرية من شأنه أن يساعد في البناء الروحي والمعرفي لدى الجيل الجديد، والذي بات يعرف بجيل ألفا، وأيضا يوفر القدرة على استكمال البناء واستمراريته لمواجهة التحديات التي تفرض نفسها على المجتمع والحياة.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يُخلق الانسان مركبًا من روح وعقل وجسم حتى يكون صالحًا للتعامل مع كل أنواع الموجودات؛ المادية منها والمجردة، ولم يجعله كالملائكة روحانيًا صرفًا، لأن عمارة الأرض تقتضي هذا النوع من الطبيعة المركبة؛ تقتضي المادية لأن الكون مشحون بالمادة، فلو كان كل سكانه روحانيين لما انتفعوا بها، ولما التفتوا اليها ولظلت معطلة ساذجة يتفاعل بعضها تفاعلا يؤدي به إلى الفناء، ويضيع المقصود من الاستخلاف والعمارة. ولو كان سكان هذا الكوكب ماديين صرفًا، ولم تكن هناك مجردات يدركونها وروحانيات يقصدونها لكانوا كالأنعام، ولما أدركوا وجود الله وعرفوا حقه.

وقد ركب متن الشطط قومٌ حاولوا أن يخوضوا بعقولهم فقط في مقام الألوهية كأنهم حسبوا أنهم قادرون على إدراك ذات الله وكنهه، فعقدوا ما شاءوا بين الذات والصفات من نسبٍ ما أنزل الله به من سلطان، فانتهت بهم ظنونهم وتوهماتهم إلى أنهم تصوروا الإله تصورًا ماديًا، مع أنهم لم يدركوا حقيقة أنفسهم ولم يعلموا كنه أرواحهم التي بداخلهم. كما ركب الشطط قوم أنكروا وجود الله وخلقته وتصريفه وقدرته، فزعموا أن الحياة وليدة الصدفة، وما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر. أمام هذه النزعات الحسية والتشبيهية التي تجعل الناس يعبدون صنمًا سماويًا أو إنسانًا علويًا، وأمام تلك الأفكار والنظريات التي تجعل فكرة الألوهية أقرب إلى العدم، والتي في معظمها هي انعكاسات لمشاكل نفسية وردود أفعال لمواقف حياتية، جعلتهم يميلون إلى رفض ذلك الإله وكل ما

يأتي منه، أمام كل هذا كان التوجيه الإلهي المستمر بالتوسط والاتزان في قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١].

وهذا لن يتأتى إلا من خلال بناء تصورات سليمة متزنة تعيد كل شئ إلى نصابه الصحيح عبر رحلة طويلة ومستمرة من التربية الإيمانية، لأنه إذا صحَّ البناء وصدق الانتماء استوت الأفكار واعتدلت في محراب الحق. وهو ما يقودنا إلى بيان أسس ومرتكزات هذا النوع من التربية، للوقاية من جميع صنوف الشطط الفكري والاضطراب النفسي والمجتمعي وفي مقدمتها الإلحاد الجديد.

الركائز الأساسية للتربية الإيمانية كمدخل للبناء المعرفي الروحي:

سأكتفي في هذا البحث بذكر أهم هذه الاسس والمرتكزات مع الإشارة الى العلاقات المتداخلة بينها وبين الإلحاد الجديد، حيث يؤثر كلٌ منهما – وجودًا وعدمًا– في الآخر، تقوية أو تضعيفا، وهي خمس:

١- البناء المعرفي والروحي من خلال رسم إطار ديني عام لربط الطفل بالله ومعرفته به بصورة مبسطة، والاجابة عن أسئلته وقاية له من الفراغ االمعرفي والخواء الروحي وتأكيدًا لتوازنه النفسي.

٢- التكامل بين الدين والعلم في بناء التصورات الأساسية عن الله والكون والانسان بطريقة علمية صحيحة منعا لمعضلة أنسنة الإله التي هي أساس الإلحاد.

٣- التخلية عن المغالطات ودفع الشبهات وحل الإشكالات وضبط التصورات الأساسية السابقة، وإحداث التكامل بين أدوار  الأسرة والمدرسة والمجتمع.

٤- استكمال البناء الروحي والمعرفي من خلال تعميق التصورات الكلية عن الله والإنسان والحياة لدى الطفل.

٥- مناقشة بعض الجزئيات أو الفروع الحيوية المتصلة بالواقع، والتي تساعد على ضبط الإطار الكلي، خاصة فيما يتعلق بمعضلة الشر .

تتدرج عملية التربية الإيمانية من إطار كلي عام للدين يرسمه المربي لربط الطفل بالله وذكره وشكره في كل تفاصيله اليومية، خاصة أوقات الفرح، فينشأ عن ذلك تصور إيجابي لديه وتبدأ علاقته بربه على أساس من الحب. ثم تتسع الدائرة قليلا مع اتساع إدراك الطفل ومحيطه ليبدأ المربي في وضع التصورات الأساسية حول الله والإنسان والعالم، على أساس علمي صحيح يجمع بين الهداية الدينية

[١] سورة الأنعام: ١٥٣.

والمعرفة العلمية الطبيعية فيتولد لدى الطفل شعور بالانسجام بينهما، وتتكامل إدراكاته عن دينه وعن الكون من حوله، ويعرف لكل شئ دوره ومقداره الصحيح، ويعي الفرق بين الخالق والمخلوق، فيتوازن تفكيره وتتزن نفسيته. بعد مرحلة بناء الأساسات تأتي عملية ضبط التصورات ودفع الإشكالات الناتجة عن احتكاك الطفل بالمجتمع الخارجي بشكل أكبر، مما قد ينشأ عنه تعرضه للمغالطات والشبهات حول الدين والإله والحياة، فيجب حينئذ تخلية فكره عن هذه الإشكالات أولا بأول، وبطريقة منهجية صحيحة، حتى لا تتراكم لديه فينشأ عنده شعور بالتناقض والنفور من الدين وأهله، فيكون فريسة سهلة للمشككين. استكمالا للخطوات السابقة التي تحتاج إلى معالجة علمية منطقية منضبطة كان لا بد من الاهتمام بالبناء الروحي وتعميق الجانب الوجداني حتى تكتمل شخصيته الإيمانية وتتكامل جوانبه الإنسانية، فلا يكون عرضة لأي هزة فكرية أو نفسية تفقده الثقة بدينه وبمن حوله، بل يكون مطمئنًا بربه واثقًا بنفسه واعيًا بطبيعة هذه الحياة ودوره فيها، يساعده على ذلك مناقشة بعض الفروع الحاكمة واللازمة لضبط التصورات الكلية، خاصة تلك التي تتماس مع معضلة الشر، لأنها الباب الأسهل للمرور إلى الإلحاد الجديد .

يتضح مما ذكرت أن الموضوع متشعب ومتداخل، مما يفرض علينا التعامل معه من جميع زواياه وأركانه، بطرق ووسائل جديدة ومختلفة، ليتكامل البناء وتصبح المعالجة ذات جدوى، خاصة أن هذه العلاقات والارتباطات تعكس لنا بعض الإشكالات التي تمثل تحديات للقائمين على عملية التربية الإيمانية؛ سواء على مستوى المؤسسات أو الأفراد، من أهم هذه الإشكالات والتحديات:

- الأمية الدينية وعدم توفر مخزون معرفي لدي المربين يساعدهم في الرد على أسئلة الأطفال الذين هم في حقيقة الأمر عبارة عن علامات استفهام تمشي على الأرض، فيجب على المربي أن لا يضيق ذرعًا بأسئلتهم، لأنها ليست مجرد أسئلة ساذجة أو سطحية، بل إنها تعبر عن احتياج لإشباع معرفي أو عاطفي أو تأكيدًا للذات أو جذبًا للانتباه، وربما يكون في خلفيتها شعور آخر غير ظاهر لو تراكم لأدى إلى مشكلة بعد ذلك في مرحلة متقدمة.
- التمرد وحب التفرد السلبي في مرحلة البلوغ وما قبله، اتباعًا لمذهب خالف تعرف، والذي يتبناه البعض بسبب خلل ما في شخصيته أو نتيجة لتأثره بالأفكار الحداثية وانبهارهم بالنموذج الغربي المتمرد على كل مقدس، خاصة إذا لم يكن لديهم البناء الفكري الكافي والهوية المستقلة الواضحة والمحددة.
- تراجع اللغة العربية يوما بعد يوم بوصفها شيئا يتصل بالثقافة لصالح اللغات الاجنبية، وبوصفها شيئا يتصل بالحضارة والتربية، وبوصفها ناقلا للقيم والعادات تتراجع هي الأخري.




- التأثير السلبي للمجتمع والإعلام: فوجود الفروق الاجتماعية بين الطبقات وتوزيع القوي في المجتمع، بالإضافة إلى حجم التحولات في المجتمع في السنوات الأخيرة خاصة في جيل زد وجيل ألفا، يعكس حجم التغير والتسارع الذي نعيش فيه.
- فوضى المعلومات والمصادر على منصات التواصل الاجتماعي التي أصبحت تشكل مرجعية لأولادنا في مختلف المجالات ومن بينها الدين، دون تدقيق وتوثيق للمحتوى الذي يعرض عليهم، ناهيك عن مجموعات التطرف والإلحاد التي تحاول استقطابهم بشتى الطرق من خلال هذه المنصات.
- إهمال التربية الايمانية في الصغر: إما لانشغال المربين عن دورهم الأساسي ووظيفتهم الأصيلة في حياة ابنائهم، أو بسبب عدم وعيهم بالاحتياجات الأساسية للطفل في مراحله الأولى، والتمايز بين المراحل وبعضها، وبين الأولاد وبعضهم البعض؛ فيما يعرف بالفروق الفردية.

وهذا ينقلنا للكلام عن ضرورة تحديد احتياجات الطفل كما يلي:

- الحاجات البدنية: لتنمية وظائفه الجسدية والبيولوجية، فالبدن وعاء العقل والروح.
- الحاجات الاجتماعية: وتنميتها من خلال الطرق والوسائل التي يتفاعل ويتواصل بها الطفل مع الآخرين، وعلى رأسها تنمية اللغة وطرق التعبير والتواصل عند الطفل تدريجيا.
- الحاجات المعرفية يتم إشباعها من خلال تزويده بالمعلومات والمعارف اللازمة له في كل مرحلة، وكذلك تنمية المهارات الأساسية لتنتظم لديه المعلومات وتنمو ذاكرته ويتشكل وعيه بطريقة سلسة وبسيطة ومتزنة.
- الحاجات العاطفية: ويتم إشباعها من خلال بناء روابط وعلاقات شعورية ووجدانية مع المقربين منه، ثم تتطور هذه الروابط والمشاعر عندما يتواصل الطفل بهؤلاء الاشخاص ويعبر لهم عما بداخله.

هذه الاحتياجات جميعها لا بد من إشباعها بطريق صحيحة وتنميتها بشكل متوازن، حيث إن الدين الإسلامي بأقسامه ومكوناته ونُظُمه والتي منها نظام العبادات والنظام التربوي والأخلاقي، كلها تؤكد على الرابطة القوية بين هذه المكونات، وكلها تحقق التوازن في مجال انعكاس هذه الرابطة على عمل الإنسان وسلوكه، فتشيع فيه احتياجه للدين، وتعلمه كيفية التعبير عن تدينه، دون الخروج عن الغاية الني من أجلها كان، ودون أن ينقلب ذلك الحب الإلهي إلى رهبنة وانعزال عن الواقع المعاش. وتحقيقًا لهذه المعادلة الصعبة لا بد أن نتناول بشئ من التفصيل الركائز الخمس الأساسية في




عملية التربية الإيمانية، حتى يتسنى لنا تحديد متطلبات التحصين من تيار الإلحاد الجديد، وفقًا لهذه الاحتياجات، ومواجهةً لتلك التحديات، بالنظر إلى خريطة العلاقات والارتباطات:

أولا: تعريف الطفل بالله، وغرس تصورات الدين الأساسية:

إن ماهية التربية الايمانية تقوم على حقيقة العبودية الخالصة لله والاستسلام التام له، ولانه سبحانه لا يطالب أحدًا بشيء فوق طاقته ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [1]، فقد هيأ للإنسان من الأسباب والإمكانات ما يعينه على أداء دوره في هذه الحياة، وذلك من خلال أمرين عظيمين:

الأمر الأول: أن الله عز وجل قد أودع في الكون المحيط بالإنسان –بل وفي الإنسان ذاته– الكثير من المعلومات والمعارف التي تدل عليه سبحانه.

الأمر الثاني: أن الله قد أعطى للإنسان الوسيلة التي من خلالها يستطيع الوصول الى تلك المعلومات والمعارف، ليتسنى له معرفة خالقه، ومن ثم عبادته.

إن كل انسان يأتي الى الحياة يحمل في روحه تلك النفخة الربانية التي توارثناها من أبينا آدم عليه السلام،كما يحمل في قلبه خاتم الوحي الأساس وهو الميثاق الأول الذي أخذه الباري على جميع بني الانسان في عالم الذر، بعد أن أوضح لنفوسهم قبل حلولها في عالم الأجسام طبيعتي الخير والشر، وأبان لها كل ما يجب عليها أن تعرفه قبل أن تردّ عليه، وقبل أن تتعهد به أمامه في حرية واختيار ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [2] بعد أن أنار لها طريق فهم الأسئلة قبل الإجابة عنها، وشرّفها بأن جعلها طرفًا معه في هذا الميثاق الأول: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [3].

ومن جميل لطف الله وعنايته بنا أنه خلقنا على الفطرة النقية وزوّدنا بكل ما نحتاج إليه من وسائل المعرفة منذ طفولتنا ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [4] وأرسل إلينا رسلا وأنزل علينا كتبا نهتدي بها ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ

[1] سورة البقرة: ٢٨٦

[2] سورة الشمس: ٧،٨.

[3] سورة الاعراف: ١٧٢.

[4] سورة النحل: ٧٨.

﴿رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [١] لأنه سبحانه يعلم أن الانسان لا يقوم بالعقل وحده، وهذا لا يعني الحط من قيمة العقل[٢] وإنما لمعرفة قدره الحقيقي ودوره المحدد في تحصيل العلم والمعرفة. ولأن مفتاح العلم السؤال، فقد حثَّ الشرع الشريف على التساؤل من خلالِ آياتٍ قرآنية كثيرةٍ[٣]. وقد سُئِلَ عبدُ اللهِ بن عباسٍ: "كيف أصبتَ هذا العلم؟ فقال: بلسانٍ سؤولٍ وقلبٍ عقولٍ". وقد سارَ المسلمون على هذَا النهجِ في الانفتاح على التساؤلات، حتَّى إنَّ معظم المذاهب الفكرية كانت بدايتُها سؤالُ يُطرح.

إن ما يطرحه أطفالنا اليوم (خاصة ما يتعلق بوجود الشر ومظاهره) هو ذات الأسئلة الفلسفية الكبرى التي شغلت الإنسان، وإن كانت بصيغة أقل تعقيدًا لكنها في الوقت ذاته أصبحت نبرتها تحمل الكثير من الاستنكار والاعتراض على الإله سبحانه، وهذا هو ما استوقفني وجعلني أفكر في أسباب هذا التحول في الطرح، فالأسئلة ليست جديدة، وإنما الجديد هو طريقة عرضها وطرحها. الأمر الذي يتطلب منا مزيدًا من الصبر والهدوء والانضباط اثناء تلقيها، مع ضرورة التفكير في طرق ووسائل جديدة، وكذلك أشكال ومستويات متنوعة للرد والإجابة[٤]. هنا تبرز أهمية وجود نموذج متكامل للتربية الإيمانية خاصة أن شكل وطبيعة هذه الإجابات هو الذي يحدد البناء المعرفي والتوازن النفسي والروحي. فالبذرة الاولى التي يتم غرسها من خلال عملية التربية الإيمانية الصحيحة والمتوازنة

---

[١] سورة البقرة: ١٥١.

[٢] يحث الاسلام الناس علي اعتبار العقل وسياده العلم ويدعوهم الي النظر والتفكير وطلب البرهان، وقد اشتد في هذه الدعوة الي درجة انه لو أحصى ما جاء في القران الكريم من قوله تعالي: (أفلا تعقلون ) (لعلهم يتفكّرون ) (أفلا تذكّرون ) لتعددت بالعشرات.

[٣] كلمةُ "يسألونك" وَرَدَتْ في القرآنِ ١٥ مرة، وكلمةُ "ولئن سألتهم" وردتْ في ٧ مواضع، إلى آخر مشتقاتِ مادة "سألَ" التي تكرَّرَتْ عشراتِ المرات.

[٤] لقد قمت بعمل تصنيف لأهم الأسئلة الوجودية (الكبرى) التي تتكرر على ألسنة الأطفال، من خلال عملي معهم على مدار ثلاث سنوات، ثم بدأت في الإجابة على أهم هذه الاسئلة ( مثل أين الله؟ ولماذا لا نراه؟ من خلق الله؟ ولماذا خلقنا؟ وهل هو محتاج لعبادتنا؟ ولماذا خلق الشر؟) بما يتناسب مع مستوى ادراكهم، من خلال سلسلة مقالات ومطويات تحت عنوان: "عندما سألتني ابنتي عن الله"، وأيضا من خلال سلسلة من اللقاءات التفاعلية مع الأطفال من ٧- ١٠ سنوات تحت عنوان "حواديت سؤال" بالتعاون مع مبادرة سؤال التابعة لمؤسسة طابة بالقاهرة، بالتوازي أيضا مع سلسلة أخرى موجهة للأمهات والمعلمات تحت عنوان "في بيتنا فيلسوف صغير"، بالاضافة الى ورشة عمل قمت بها العام الماضي كانت تحت عنوان: "كيف نتعامل مع أسئلة أولادنا الدينية؟"، وجميع هذه اللقاءات متاحة على منصة يوتيوب.

هي بناء قوي لمواجهة معضلة الشر، وتجفيف منابع التشكك والإلحاد. هذا البناء لن يتم إلا عن طريق تنمية عادة التفكر الدائم عند الطفل حتى يبقي في حوار دائم مع ظواهر الوجود من حوله، وأن يستمر في طرح الأسئله :كيف؟ ولماذا؟ ازاء أية ملاحظة تنقلها حواسه الخارجية إلي مركز التفكير في داخله، وأن نحسن تدريبه علي استعمال هذه الحواس في جميع المدركات ونقلها إلي مركز الوعي والادراك، وعلي استعمال القدرات العقلية ليلًا ونهارًا وقيامًا وقعودًا للتفكر في خلق النفس وآفاق السموات ومحتويات الكون واكتشاف مكوناتها وقوانين عملها وحسن تسخيرها.

لذلك يحثنا الدين الإسلامي على التأمل والتدبر والتعقل والبرهنة والنظر من أجل استثارة عنصر التعقل الغريزي وتنشيطه، ثم يؤكد على الأسلوب المنطقي للعملية العقلية لينأى بها عن كل ما يمكن أن يخل بالنتائج. كذلك يأمرنا باتباع الشريعة الغراء التي تنظّم سلوكنا وترسم لنا خارطة السعادة في الدنيا والآخرة. قبل ذلك وفي أثنائه يربي فينا الجانب العاطفي والروحي ويشبعه بحب أصيل لخالقه وموجده، والدخول له من باب ذكر النعم وشكرها، ولكي تنتظم كل هذه العناصر وتتكامل فإن الله عز وجل قد منحنا الإرادة القوية الواعية التي تحتفظ بحريتها في توجيه السلوك، هذه الحرية التي بها تحصل المسئولية، والتي يترتب عليها الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة. فالتناسق والتوازن التام إذن بين أنواع الهداية في سبيل إيصال الإنسان إلى الغاية التي من أجلها خُلق، هي أهم ما يلاحظه المتأمل في الشخصية الإنسانية. "أماحين يُعطل المرء عقله، ولا يستخدمه فيما خلق من أجله فقد سفِه نفسه، وظلمها ظلمًا عظيمًا لأنه بذلك قد سار بها إلى الهاوية[1]، تأمل معي حال أهل النار –والعياذ بالله– وهم يتذكرون أسباب هلاكهم وضياعهم ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2]. والملاحظ أنهم لم يذكروا كفرهم أو شركهم أو معاصيهم، بل ذكروا تعطيلهم لعقولهم عن الاستخدام الصحيح. لذلك كان التعقيب الإلهي على اعترافهم بالحقيقة ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ

[1] ومن ذلك أن يقتصر الفكر الإلحادي على الحواس كمصدر ووسيلة للمعرفة فنقول: إنه من المسلمات ان الحواس لا تصلح مقياسًا وحَكَمًا مطلقًا على كل الموجودات؛ لأنها نسبية ومحدودة، بحكم ان الإنسان نفسه كائن مخلوق محدود القدرات والإمكانات، لا يمكنه تجاوزها. حتى لو سلمنا بقدرة الحواس فلا يصح إطلاق هذا الحكم إلا اذا قام الإنسان برصد وفحص كل ظواهر ومظاهر الكون عن طريق استقراء تام، وتأكد انه لا يوجد غيرها.

[2] سورة الملك: ١٠.

ٱلسَّعِيرِ﴾[١]. إن ذنبهم الأكبر هو هذا الذنب، وما الكفر، وما الشرك، وما الكبر، إلا توابع لتعطيل العقل"[٢].

إن التربية الإيمانية لا تنتهي بفترة زمنية معينة ولا ترتبط بمرحلة دراسية دون أخرى، بل هي مستمرة ومتجددة تنمي شخصية الفرد وتثري إنسانيته، لذلك لا بد أن تجمع خبرة المربين بين ثلاثة أنواع من المعارف؛ المعارف الدينية والمعارف الكونية والخبرات الاجتماعية، وكل نوع منها يضم في داخله دوائر بعضها أوسع من بعض. فالمعاني الإيمانية لا يمكن تحقيقها إذن إلا من خلال المرور من باب «المعرفة» بالله عز وجل، لذلك كانت غاية العلم هي التعرف على الحقائق التي تصل بالمرء إلى تحقيق العبودية لله عز وجل بمعانيها المختلفة وهو ما يحتاج الى بيان وتأكيد كما يلي.

ثانيا: التكامل بين الدين والعلم، منعا للانغلاق وأحادية الفكر:

لا أحد يستطيع أن ينكر دور العلم والاكتشافات العلمية في حياة الإنسان فقد يسرت له سبل العيش والراحة. والأصل ان كل باحث عن الحقيقة يجب أن يخط اليها منهجًا علميًا لا يشوبه الهوى أو الوهم، وأن يلتزم هذا المنهج لا ينحرف عنه يمنة ولا يسرة، تلك حقيقة واضحة لا ينبغي أن يماري فيها أحد من الناس. "والحقيقة العلمية تعتبر – في حكم الدين – قمة المقدسات الفكرية وينبوعها. فهي التي ينبغي أن يحجّ إليها الفكر في خضوع وتطواف دائم. وهل من دليل على هذا الاعتبار أقوى من أن تجد الدين نفسه لا يرضى أن يقيم وجوده وقدسيته إلا على دعائم العلم وبراهينه، ولا يرضى أن يتخذ لنفسه حَكَما من دونه؟ كل ما هنالك أن الاسلام أضفى الصفة الدينية على البحث عن الحقيقة بنبراس العلم والفكر المجردين. فإذا كان غير المسلم من شأنه أن يندفع إلى البحث برغبة حب التطلع، فإن المسلم مدفوع الي البحث ذاته شعورًا منه بأنه واجب يُثاب على فعله ويُعاقب على تركه. هكذا وجد الفكر الإسلامي نفسه أمام مهمة دينية، هي ضرورة البحث عن الحقيقة، وبدهي أن القيام بهذه المهمة يتوقف على وضع منهج منضبط للبحث"[٣].لكن في عصرنا الحالي تغيرت النظرة الى مفهوم العلم ودوره، لذلك كان من الضروري أن نميّز بين أشباه العلم أو العلوم الزائفة وبين العلم ذي المناهج المنضبطة الذي يقوم أساسًا على الملاحظة والتجربة بعد توفر الشروط

---

[١] سورة الملك:١١.

[٢] مجدي الهلالي: التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم، ط١ ٢٠٠٩م، مؤسسة اقرأ. ص٢٠ بتصرف.

[٣] مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكبرى وجود الخالق ووظيفة المخلوق، ط٨ ١٩٨٢م، دار الفكر ومشق، ص ٣٣.

اللازمة للقيام بها، حتى تأتي النتائج بعد ذلك مطابقة للواقع، سواء اتفقت هذه النتائجأاو لم تتفق مع رأي صاحب التجربة. إذ الدافع لديه والمحرك الأساسي له هو البحث عن الحقيقة.

ان العلم الطبيعي يبدأ بحثه من قضية جزئية محددة، وينظر الى أشياء بسيطة، يحاول أن يفهمها ثم يتقدم خطوة فخطوة نحو ميادين اوسع ليصل إلى فهم الكون كله. أما الدين فيبدأ من النظرة الكلية االى هذا الكون، فالهدف اذًا واحد وإن اختلف السبيلان، وكل منهما ضروري لحياة الإنسان، لا يمكن إهدار الدين والاكتفاء بالعلم. لكن بالنظر إلى الواقع من حولنا، خاصة الواقع العالمي، نرى أن الدين اليوم في مأزق تاريخي، ربما سبب هذا هو ترحيله من مجاله الأنطولوجي (الوجودي) إلى المجال الأيدلوجي (العقائدي)، وبذلك أصبحت الفرصة سانحة أمام البعض لتوظيفه من أجل مصالح ومكاسب معينة، أو القيام بتشويهه، سواء عن عمدٍ أو لا، لتحقيق أغراض أخرى[١]. أضف إلى ذلك ازدراء بعض النخب للدين واحتقارهم للتدين، إثر الفهم الساذج لحقيقة الدين في فهمهم، واصدار أحكام بناء على هذا التصور الساذج. "إن دراسة الدين في بعده الانطولوجي، هو ما يضعنا في مستوى غائب في الدراسات الدينية، بل وينقلنا إلى أفق أوسع وأرحب، حيث أنه يكشف اللثام عن الحضور الحقيقي للدين في الكيان البشري. عبر البعد الأنطولوجي يمكننا العبور إلى جوهر الدين، وبه يرتوى الظمأ للمقدس، وبه نتذوق الابعاد الجمالية فيه، وندرك ما يفيضه الدين على مشاعر المتدين في عالمنا من جمال وخير وسلام وحياة، في مقابل ما يسود العالم من شرور وحروب وجفاف روحي"[٢].

لقد قام الاتجاه التجريبي بإدخال كثير من المسلَّمات الدينية تحت مسمى الميتافيزيقا المرفوضة، فنُفيت من مجال المعرفة الحقة والصحيحة، وأدخلت في مجال الوجدان، وانتقص من قدرها العلمي بحجة عدم دخولها في المجال الرياضي أو الطبيعي. إنها دعوة إلى الاكتفاء بما يقوله العلم والاستغناء به عما سواه، بما في ذلك الاستغناء عن الدين واللاهوت والميتافيزيقا، والوقوف بقوة

---

[١] بعض التيارات والمؤسسات التابعة لها لا يتوقفون عن مهاجمة العلم الحديث والحضارة الغربية، كوسيلة لنصرة الدين، أي انهم يدافعون عن رسالة الإسلام بمهاجمة معجزة هذه الرسالة، ويرددون ما أنتجه العقل الأوروبي حول التناقض التاريخي الذي قام بين العلم والدين في اوروبا وامتدادها، دون دراسة واعية لتاريخ الصراع الغربية والوقوف على حقيقته. ان العلم لا يكون أبدًا ضد رسالة الإسلام لأنه معجزتها وينبغي ان لا يميل بنا الهوى لإدانة من يخاصموننا باسم العلم الى إدانة العلم نفسه. فالعلم لا يكون سببا للضلال، وانما سبب الضلال هو نقص العلم وجموده وادراج الظنون والأوهام والأهواء في قائمة العلم. كذلك الحضارة لا تتعارض أبدًا مع الدين، بل إن من أهداف الرسالة أن تبني الانسان لينطلق في الكون يبني حضارته، ويحقق رسالته التي خلقه الله من أجلها.

[٢] عبدالجبار الرفاعي: الدين والظمأ الانطولوجي، ط١ بغداد ٢٠١٦، ص ١١ بتصرف.




ضدها لأن الحقيقة بزعمهم لا توجد إلا في العلم، ووضعهم للمعيار الحسي بوصفه أحد أهم المعايير في قبول الحقائق الموجودة الواقعية. ويؤكد جوليان هكسلي على هذا الأمر تأكيدا بلغ حد المغالاة في كتابه "الإنسان يقوم وحده"، وقد قام بالرد عليه العالم الأمريكي كريس موريسون بكتابه الشهير " الإنسان لا يقوم وحده" والذي ترجم الى العربية تحت عنوان " العلم يدعو الى الايمان"[١].

إن أسئلة الأطفال وان كانت لا تعكس العلاقة بين العلم والدين في صورتها المباشرة إلا أنه من الضروري التأكيد على الطبيعة التكاملية بينهما خلال رحلة التربية الإيمانية، وكذلك محاولة تقريب المفاهيم الغيبية من خلال الاكتشافات العلمية الحديثة والتي تساعد على البناء الإدراكي التراكمي حتى لو لم يدركوا الأبعاد المختلفة لهذه العلاقة في مراحلهم الأولى، إلا أن هذا سيولّد لديهم شعورًا ومنطقًا يساعدهم بعد ذلك على مواجهة بعض الإشكالات المتعلقة بمعضلة الشر، خاصة إذا علمنا أن مشكلة العلموية التي يقوم عليها الإلحاد الجديد لا تقف عند حد تأليه العلم الطبيعي ووضع سقوف للمعرفة الإنسانية، بل إن المشكلة الأكبر تكمن في فصل القيم والأخلاق عن معرفتنا بالعالم[٢]؛ وفي عالم متجرد عن القيمة تصبح كل الأمور نسبية ومتساوية، حينها يصبح من المستحيل التمييز بين الخير والشر، بين الجوهري والنسبي وأخيرا بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان والمادة[٣]، هذا هو البُعد المهم في الحداثة وما بعدها؛ البعد النسبي للأخلاق بمردوده السلبي على الإنسان وعلى البيئة التي يعيش فيها ويتعامل معها دون تفرقة بين الخير والشر أو تمييز بين الحسن والقبح.[٤]

هذا من شأنه أن يوضح لنا أهمية التربية الإيمانية وتأسيسها على هذه القاعدة التي تنص على أنه "لا صراع بين الدين والعلم وأن مهمة العلم تنحصر فقط في الكشف لا في الإيجاد"، فهو إذًا مجرد كاشف غير منشئ، إذ العالم وقوانينه موجودة بالفعل، ولم يفعل العلم التجريبي أكثر من أنه كشف عن كيفية عملها ومحاولة تفسيرها، في حدود ما وصل إليه العلماء التجريبيون. نقول مثلًا إن نيوتن

---

[١] كريسي موريسون: العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، دار وحي القلم، ط١ ٢٠١٣م.

[٢] ذكر عالم الاجتماع الامريكي ارنست بيكر في كتابه إنكار الموت: ان التربيه الحديثة في القرن التاسع عشر أبعدت من مناهجها كلا من الدين والفلسفة، وادّعت بكثير من الغطرسة والتبجح ان الخبرات الدينية خبرات خيالية لا تدخل في ميدان العلم. وفي الوقت الحاضر صار الكثير من العلماء فريسة الشك والمقت لهذه الدعاوي بعد ان ثبتت ان النظام الاجتماعي لا يقوم ولا يستمر بدون الدين، لأن الدين يعالج الكثير من الأزمات الميؤوس منها في المجتمع الإلحادي.

[٣] دراسات معرفية في الحداثة الغربية، ص٣٤ بتصرف.

[٢] هنا تجدر الإشارة إلى أهمية بيان وإبراز منهج الإسلام في فقه الإحياء والتعامل مع الأحياء والجمادات في كتب الفقه، ففيها يتجلى جزء من جمالية هذا الدين الحنيف.

اكتشف قانون الجاذبية، ولم يقل أحد بأنه خلق الجاذبية أو أوجدها؛ فالجاذبية موجودة من قبل أن يوجد نيوتن، بل منذ خلق الله الكون ووضع فيه قوانينه. وبذلك يكون لدينا منهجًا علميًا منضبطاً ورؤية واسعة في النظر للأمور؛ نجمع فيهما وبهما بين حسن الفهم لكتاب الله المسطور ودقة التأمل في كتابه المنظور، فنستطيع بعد ذلك مواجهة من يحاولون التشكيك والتشويش من خلال الاعتماد على المغالطات وإثارة الشبهات وهذه هي المرحلة التالية.

ثالثا: دفع الشبهات والمغالطات وحل الإشكالات:

إن طريقتنا في الفهم والتربية يجب أن تتغير، فطريقة تحصيل المعرفة وإن كانت مهمة لكنها لا تقدّم ولا تؤخّر الآن، لأن مصادر المعلومات أصبحت متوفرة ومتاحة طول الوقت، والشباب أقدر منا على الوصول اليها والتعامل معها. أما الذي يقدم ويؤخر فهو حسن التفكير والتدبر والحوار والنقاش وتوليد معرفة من المعرفة، لكي تترسخ هذه المعارف وتلك المعاني في نفوس ابنائنا. خاصة أن الإسلام قد أعطَى للعقلِ قيمتَهُ ومكانتَهُ باعتباره نعمة ربانية وهبها للإنسان وجعله مناط التكليف وأساس العلوم والمعارف. كذلك لم يضع الإسلام أيةَ قيود على فكر الإنسان، مادام معنيًا بالخير والنفع وعمارة الأرض، خاصةً وأنَّ العالَمَ اليوم يُعاني فوضَى فكريةً أصابت أهم الأمور التي تهم الإنسانِ كالدين والهوية والعلم. والسبب الرئيس في هذِهِ الفوضى هوَ بُعْد الكثيرين عنِ العلمِ والتفكيرِ المنهجِي ونزوعُه إلى تحكيمِ الهوى. وهنا يأتي دور الشرع ليضئ الطريق امام العقل فيزيل الأوهام والتشويش ويكون نورا على نور، كما انه شجّع على التفكير والتساؤل والحوار.

إن المنهج العلميَّ الإسلاميَّ لم يعتبر طرح الإنسان أسئلة حول الدين أو تشككه خطَأً، بل على العكس اعتبر عدم السؤالِ ذنبًا. أيضًا جعل من ضمن مسؤوليات العالِمِ الفكرية تحضير إجابات على مثلِ تلك الاستفسارات. وللإجابةِ الشافية عنْ صُنُوف الأسئلة التي يمكن طرحُهَا، كانتْ تؤلَف أنواع كاملة من الأدبياتِ العلمية الإسلامية على شكل سؤال وجواب. كانَ العلماء أنفسهم هم الذين يسأل بعضُهُم بعضًا أكثر الأسئلة صعوبة، وكانُوا يُجرون بحوثًا نقدية حول ما يبدُو في الظاهر متناقضًا ومتعارضًا في القرآن والسنة.

لقد نعي الإسلامُ الإيمانَ القائم علي مجرد التقليد الأعمي، الذي ينتج عنه انحراف عن العقيدة الصحيحة قال تعالي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ

كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [١]. وقرّر القرآن الكريم أن ترك الآثار البالية الموروثة والبعد عن الظنون والأوهام لا يكون إلا بإيقاظ العقل. واستعمال النظر والتفكير وقرر عدم المساواة بين هؤلاء الذين يعلمون لأنهم يستخدمون عقولهم وبين الذين يجهلون لأن يعطّلون عقولهم عن التفكير والنظر في الأكوان المحيطة بالإنسان. مما يكشف لنا عن ضرورة التلازم بين العقل والإيمان، "فالفصل بين العقل والإيمان ينبني على افتراضين: أحدهما، أن العقل لا إيمان فيه، وهذا باطل؛ لأن الدليل العقلي لا بد فيه من التسليم غير المدلَّل ببعض القضايا المعتبرة وبعض القواعد المقررة، فضلا عن أن التوسل بالعقل يوجب تحصيل الإيمان به، حتى تثبت فائدة العقل وتظهر مشروعية التوسل به. والافتراض الثاني، أن الإيمان لا عقل فيه، وهذا أيضا باطل؛ لأن الخطاب الديني يتعلق بالمكلفين، ولا تكليف إلا على من قام به شرط العقل، فضلًا عن الأدلة والآيات التي يسوقها لإثبات أصله الإلهي وما يقتضيه من التصديق القلبي. لا بد اذًا من الجمع بين العقل النظري المجرد وبين العقل الموسع ذي الأصل الديني لتجتمع الحقائق الوجودية التي يتوصل اليها العقل المجرد، مع الحقائق الإيمانية التي يضيق عنها، فيأتي دور العقل الموسع ليكون نور على نور"[٢].

وتتحقق تزكية القدرات العقلية من خلال أمور ثلاثة:

الأول: تزكية مسار الفكر من خلال تنمية القدرات العقلية علي التوجه للأهداف التي خُلقت من أجلها؛ وهي تدبير شئون الإنسان وتنظيم علاقاته بالخالق والكون والحياة.

والثاني: تزكية أشكال التفكير من خلال تطهيره من الأوهام والمغالطات؛ حتي لا يبدد الفرد طاقاته العقلية و النفسية و الجسدية في البحث في قضايا وهمية.

والثالث: تزكية أساليب التفكير ووسائله، ومحاولة اكتشاف ميادين معرفه جديدة بوسائل عصرية حديثة، خاصة في ظل التقدم التقني والإعلامي الهائل، فلم يعد التعامل مع التغيرات السريعة المصاحبة له أمرًا اختياريًا، بل أصبح الأبناء يفوقون فيه آبائهم، مما زاد الأمر صعوبة وتعقيدًا، وجعل مسئولية التربية تتضاعف وتتطلب آليات ومهارات تتناسب مع حجم وسرعة التغير الحاصل، خاصة في ظل

[١] سورة البقرة: ١٧٠.

[٢] طه عبدالرحمن: سؤال العمل، بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٢م، ص ١٠٩-١١٠.

وجود منابع جديدة لمعارف وهمية تحتمي بالكثير من المغالطات المنطقية[١]، تتبنى هذه المعارف شخصيات عامة وقنوات إعلامية يقومون بالترويج لها ليل نهار على منصات التواصل الاجتماعي، يبدأون بإثارة الشبهات حول بعض القضايا والنصوص الدينية بهدف تشكيك الشباب في دينهم مستغلين عدم معرفتهم القوية بالدين.

هذه المغالطات المنطقية يمتد تأثيرها إلى تغيير وتغييب الوعي الجمعي للناس والتشويش على أفكارهم ومعتقداتهم خصوصًا في ظل فوضى المعلومات والأفكار على شبكة المعلومات "الإنترنت"، بالإضافة الى حالة الاحتقان والاستقطاب بين أتباع الطوائف والأديان المختلفة بسبب الاضطرابات السياسية والاقتصادية والدينية التي خلقت حالة من الضغط النفسي والفكري بين الشباب. أما عن سبب ذلك الخلل المعرفي فيوضحه لنا الإمام الغزالي قائلا: "عرفت قطعًا أن أكثر الأغاليط تنشأ من ضلالِ مَن طلبَ المعاني من الألفاظ، ولقد كان من حقه أن يقرر المعاني أولًا، ثم ينظر في الألفاظ ثانيًا، ويعلم أنها اصطلاحات لا تتغير بها المعقولات، ولكن من حُرم التوفيق.. استدبر الطريق وترك التحقيق".

رابعا: استكمال البناء الروحي والمعرفي من خلال تعميق التصورات الكلية حول الله والإنسان والحياة:

أرواحنا هي مكمن وجودنا الحقيقي والبناء الروحي الصحيح يصعب معه حبسنا داخل معطيات مادية محدودة، بل يعطينا بعدًا أكثر عمقا ورحابة في شخصياتنا ويمنحنا التميز في عالم محاصر بالماديات ومهدد بالمخاطر والأزمات. فلو كان العقل فقط هو الذي يحرك الإنسان، لكانت المعرفة العقلية وحدها تكفي كدافع للسلوك، إلا أن الأمر ليس كذلك، فمع أهمية المعرفة وضرورتها كبوابة أساسية لتحقيق العبودية ومن ثم الاستقامة؛ إلا أنها لا تكفي لتغيير السلوك؛ لأن الذي يصدر الأوامر بالحركة الإرادية داخل الإنسان هو القلب الذي يعد بمثابة مركز الإرادة واتخاذ القرار، ومنه تنطلق الأوامر بالأفعال الإرادية وما على الجميع إلا التنفيذ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾[٢]. لا بد إذن من تعانق العقل والروح ولا بد كذلك من استمرار هذا التعانق حتى يرسخ الإيمان في القلب، ومن ثم يتمكن من الانتصار على هواه ونفسه الأمارة بالسوء وكل ما يحاول التشويش على إيمانه.

---

[١] للمزيد حول صور هذه المغالطات وأشكالها انظر عادل مصطفى: المغالطات المنطقية فصول في المنطق غير الصوري، ط١ ٢٠١٧م مؤسسة هنداوي.

[٢] سورة الحج: ٥٤.

هناك فرق بين القناعة العقلية بالفكرة وبين الإيمان بها: فقد تُناقش شخصًا ما في أمر من الأمور فيقتنع أمامك بما تقول، لكنه لا يفعل مقتضيات هذا الاقتناع، كأن تُناقشه مثلًا في ضرورة وأهمية مقاطعة منتجات الدول التي أساءت إلى الرسول ﷺ، وتعرفه كيف يُمكن لهذه المقاطعة أن تؤثر على هذه الدول، فيُبدي أمامك اقتناعه بما تقول بعد سلسلة من الاعتراضات والمناقشات، وبعد ذلك تجده لا يُقاطع تلك المنتجات. السبب في ذلك أنه وإن كان قد اقتنع بعقله إلَّا أن قلبه لم يطمئن اطمئنانًا كاملًا لما تقول، أي أنه لم يؤمن بما تقول، لهذا يقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾[1].

ومما لا شك فيه أن بداية الإيمان بالشيء هو الإقرار العقلي به، ولكن إن توقف هذا الإقرار عند حدود العقل، ولم يمتزج بالمشاعر، ولم تحدث الطمأنينة والثقة فيه، فقد ابتعد عن مفهوم الإيمان، ومن ثَمَّ فلن تظهر ثمرته في السلوك، وهناك أمثلة كثيرة تؤكد هذا المعنى؛ فدراسة أبحاث القضاء والقدر من كتب العقيدة وعلم الكلام، قد تصل بالمرء إلى الاقتناع بحقيقة القضاء والقدر، إلا أنها – في الغالب – لا تُنشئ إيمانًا حقيقيًّا به بحيث تظهر آثاره عند مواجهة الأقدار المؤلمة، وسبب ذلك أن أغلب هذه الكتب تُخاطب الفكر فقط، ولا تؤثر في المشاعر، وفي المقابل لك أن تقرأ القرآن وتنظر إلى طريقته في إقناع العقل وإلهاب المشاعر فيمتزج الفكر بالعاطفة وينشأ الإيمان إن انتفت الموانع.

ففي الايمان بوجود الله شعور بالطمأنينة والركون الى الاله الخالق الحكيم ضمانة للمستقبل، وهذا ما يبشّر به المؤمنون، أما في الإلحاد فلا أحد يضمن أي شئ لأي شخص، ذلك أن الملحدين يرون أنه لا حياة بعد هذه الحياة، وأن الانسان هو فقط هذا الجسم، فإذا مات انتهى كل شئ بالنسبة إليه. إن عالم ما بعد الحداثة يدفع بالناس للعيش في وسط مائع خال من القيود غير محدد بحدود، فتأتي منظومة العبادات المحددة والمؤقتة بتوقيتات معينة لتؤكد على ان التدين الصحيح يوفر للمسلم ترياق المناعة ضد موجات التحديث التي تستهدف تفكيك المنظومة الفكرية والخلقية التي تساعدنا على الاحتفاظ بحالتنا البشرية السوية التي خلقنا الله عليها وأرادها لنا. مع التوجيه إلي أن مناهج التربيه الإيمانية مصممة في الأصل من لدن عليم خبير، لتنسيق حياة الإنسان مع الكون كله ومع السنن والقوانين التي تنظّمه، وأنه حين يخرج علي التعاليم والقيم والممارسات التي توجه اليها هذه المناهج، فإنه يصطدم مع هذه السنن ويتحول إلي عنصر شاذ يصطدم بعناصر الكون كلها، وإن كل ما في الكون سوف ينقلب ضده ويدخل في صراع معه.

[1] سورة المائدة: ٤١

إن مشكلة الملحدين الجدد تكمن في تمركزهم حول ذواتهم وارتكازهم عليها فحسب، حيث إنهم يرفضون تجاوز أنفسهم ويأخذون من مستوى إدراكهم مسلّمة موضوعية، بل ويريدون أن يلزموا غيرهم بها، وهذا تحكُّم منهم وتعنت لا يمتّ للعلم بصلة. إن المعرفة تتطلب تجاوز الذات وتجردها، أو على الأقل عدم التمركز حول منظور ينطلق من تلك الذات الفردية. لأن الانسان غير القادر على التجاوز والتجرد ومواجهة ذاته في تجردها، هو بالضرورة غير قادر على العطاء والتوازن النفسي. من هنا نجد أن الملحد لا يستطيع بناء نسق فكري أو أطروحة كاملة عن الكون والحياة، هو فقط يحاول أن ينقض ما يقدمه الدين من أطروحات تتوافق في حقيقتها مع العقل والفطرة الإنسانية ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ﴾[1]. إنهم يحاولون أن يستبدلوا الإله طورًا بالعلم، وطورًا آخر بالطبيعة، هربًا من الإيمان والتسليم بالأمور الغيبية، ومن تحمّل تبعات هذا الإيمان وتوابع ذلك التسليم.

لذلك كان لا بد من التأكيد على جمالية هذا الدين من خلال ضبط التصورات عن الله عز وجل: "ان مفهوم جمالية الدين له امتداد كلي شمولي؛ اذ يمتد ليغطي علاقات المسلم بأبعادها الثلاثة: علاقته مع ربه، وعلاقته مع الإنسان، ثم علاقته مع البيئة أو الطبيعة. وما يطبع ذلك كله من معاني الخير والمحبة والجمال. وكل ذلك يدخل تحت مفهوم العبادة بمعناه القرآني الكلي، الذي هو غاية الغايات من الخلق والتكوين ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، ولذلك فإن الجمالية في الدين لا تُدرك من ألفاظ بعينها في الشرع فحسب، بل هي مفهوم مبثوث في أصول الدين وفروعه. إنها تؤخذ من كل معاني الخير والتخلق والتجمل والتزين والإحسان.. ما ينتج عنه شعورًا بالجمال عند ممارسة الدين، ولدى الانخراط في الإبداع تحت ظلاله الوارفة"[3]. فحقيقة الجمالية الدينية هي الإيمان الذي يسكن نوره القلب فيعمره ويغمره حتى يفيض على الجوارح الظاهرة فتجمل وتترقى هي الاخرى حتى تصل الى درجة الإحسان الذي هو عنوان الجمال؛ أي أن "جمالية هذا الدين هي التي تفيض بأنوارها على جمالية التدين لا العكس"[4]. وهذا بدوره يفسر لنا سلوك بعض المتدينين الأعوج الناتج عن اعتقادهم بأن الدين الحق إنما هو الخشونة والحزونة في القول والفعل، ولو فهموا حقيقة الدين وتذوقوا جماله لما كان هذا حالهم. لقد ربّى هؤلاء جيلًا تخشّبت قلوبهم وتشنّجت أقوالهم، فكانوا مثالًا

---

[1] سورة الروم: ٣٠

[2] سورة الذاريات: ٥٦

[3] فريد الانصاري: جمالية الدين ص٣.

[4] المصدر السابق، ص٦.

للتدين الفج والسلوك القبيح والذوق المتردي. "وقد استغل الإعلام المغرض هذه الحالات الشاذة المنحرفة فكان أن انطبع بذلك في فهوم الكثيرين من الأجيال الجديدة أن الدين هو أبعد ما يكون عن قيم الحب والجمال، وكأنه ما نزل إلا ليكون ملاذًا "أيدلوجيًا" لمرضى العقول ومتخلفي الذوق والشعور"[١].

إن الحضور القلبي الدائم مع الله، والتعلق الشديد به سبحانه أو بمعنى آخر: تحقيق قوله ﷺ عندما سُئل عن الإحسان، فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه»[٢]، وهذا يحدث إذا ما استمر الإمداد الإيماني للقلب، فيزداد فيه النور، حتى يصير قلبًا سليمًا، ومن آثار ذلك: خضوع المشاعر والسلوك في مجمله لله عز وجل كما قال ﷺ: "من أحب لله ، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"[٣] . وقال: "لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[٤]. ومن آثارها كذلك: التعامل مع أحداث الحياة وتقلباتها المختلفة تعاملًا إيمانيًا كما قال ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ولا يكون هذا إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"[٥]. فكل ما يصيبه حينئذ يجد له تفسيرًا ومعاملة إيمانية.

فالهدف إذن هو تمكين الإيمان من القلب وهيمنته عليه، حتى تتحرر إرادته ويصبح قلبًا سليمًا يستقبل الأحداث ويتعامل مع مستجدات الحياة بدوافع إيمانية ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦]، فالتربية الإيمانية الصحيحة هي التي تصل بالفرد إلى تنوير قلبه، واستنارة بصيرته. وهنا يلزم التنويه التنويه إليه أنه مهما ارتقى الإيمان في قلب العبد إلا أن بشريته، وما فيها من ضعف، لن تُفارقه ، لذلك فمن المتوقع أن تَزِلّ الأقدام في بعض الأمور القليلة والنادرة، لكن داعي الإيمان سُرعان ما يدفع صاحبه للعودة السريعة والتوبة النصوح، واستئناف السير إلى الله القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٧]، خاصة اذا أيقن أنه هنا في دار الاختبار والتكليف وبعدها

[١] المصدر السابق، ص٨ بتصرف.

[٢] متفق عليه، أخرجه البخاري (١/٢٧ ، رقم ٥٠) ، ومسلم (١/٣٩ ، رقم ٩) .

[٣] حديث صحيح .

[٤] حديث صحيح اخرجه الطبراني في مجمع الزوائد ١/ ٥٨

[٥] أخرجه مسلم (٤/٢٢٩٥)

[٦] سورة التغابن: ١١

[٧] سورة الاعراف:٢٠١

وبعدها سيكون النعيم المقيم، واذا أيقن انه يعبد ربا صبورا؛ يصبر على أذى عباده وجحودهم مع قدرته المطلقة عليهم؛ يقول ﷺ: "ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله تعالى، إنهم ليدَّعون له ولدًا، ويجعلون له أندادًا، وهو مع ذلك يُعافيهم ويرزقهم"[١]. ربٌ رحيم؛ رحمته وسعت كل شيء، حتى العاصين له، المنكرين لوجوده، يُطعمهم ويسقيهم ولا يمنع رزقه عنهم. أنزل في الأرض جزءا من مائة جزء من رحمته يتراحم بها خلقه، واختزن لنا عنده تسعة وتسعين جزءًا لوقت سنكون فيه أحوج ما نكون إلى تلك الرحمات. إلهٌ رؤوف؛ لا يُريدنا أن ندخل النار، فيظل يُخوفنا ويُخوفنا منها، ويُظهرها لنا بصورة بشعة مؤلمة قاسية، حتى نسارع إلى الهرب منها والفوز بالنعيم المقيم. ربٌ شكور؛ يشكر عمل عبده، مع قلته، ويعظم له به الأجر، قول ﷺ: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فشكر الله له، فغفر له"[٢].

أما عن الهدف النهائي فيظهر في قوله تعالى: "لعلهم يرجعون"، فمراده سبحانه دخول الجميع الجنة، لكنه لا يقهر أحدًا على الإيمان به، وإلا انتفت الحكمة من خلق الإنسان واختفت فكرة اختبار الايمان، وصار كسائر المخلوقات غير المكلفة. ولأنه سبحانه يُريد لعباده دخول جنته، وهم في غفلة معرضون لذلك فهو يبتليهم بألوان شتى من الابتلاءات حتى يفيقوا من غفلتهم ويعودوا إليه. فكل ما يَرِد على الإنسان من أشكال المنع كالمرض والنقص في الرزق والأمن فإن الحكمة الأساسية منه هو إخراجه من حالة الغفلة إلى اليقظة، ورجوعه إلى الله.

لقد أدركت الأجيال الأولى خطورة إهمال تزكية النفس، والسكون إليها، والرضا عنها وأدركوا أن أخطر آفة يمكن أن تصيب المرء هي أن يذوق طعم نفسه، فيطوّع كل أعماله وأقواله وحركاته لإسعادها، وسقايتها ما تستلذ به فكانت أحوالهم وأقوالهم تدل على ذلك. تأمل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[٣]، أي: حافظوا على إيمانكم، استمروا فيه، لا تغفلوا عنه، لا تفتروا تفتروا عن معاهدته ورعايته وتقويته والحرص عليه، وذلك لن يتأتى الا بمزيد معرفة وطمأنينة من خلال دراسة ومناقشة أهم الأحكام الفرعية التي نحتاج اليها وخاصة ما يتعلق منها بمعضلة الشر، لهذا كان لا بد من الوصول الى المرحلة التالية.

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري (٥/٢٢٦٢ ، رقم ٥٧٤٨)، ومسلم (٤/٢١٦٠ ، رقم ٢٨٠٤)

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري ( ١/٢٣٣ رقم ٦٢٤ )، ومسلم ( ٦/٥١ رقم ٥٠٤٩ )

[٣] سورة النساء: ١٣٦.




خامسا: مناقشة الفروع المهمة في الدين والشريعة خاصة ما يتعلق بمعضلة الشر:

نحن وإن كنا نركز هنا على الجانب العقدي إلا أنه من المهم، لكي تكتمل منظومة التربية الإيمانية، أن نتطرق إلى مجموعة من المعارف الضرورية والقضايا النوعية اللازمة لاكتمال التصورات الدينية الأساسية، خاصة تلك التي تظهر بوضوح في تساؤلات الأطفال اليومية والموسمية، لكي يشعروا بإيجابية الدين وفاعليته في حياتهم. وذلك من خلال إبراز مقاصد الشريعة وحكمها ومصالحها ومراميها وربطها بالمصالح الاجتماعية وتقديمها على أنها رحمة للعباد وصلاحًا لهم وتسهيلا للقيام بواجبهم نحو ربهم، وتدريبًا لهم على الانضباط بما هو نوع من التحضر، فالأمم المتحضرة منضبطة في كل شئ. والشعائر التعبدية فيها انضباط ونظام ولو لم يكن فيها من التعليلات إلا هذا لكفاها، فأن ينتظم الناس في الصلاة أو الصيام أو الحج، وأن يفعلوا ذلك بطريقة معينة ومواقيت معينة فهذا نظام وحضارة ورقي ينبغي أن يضاف إلى رصيد هذه الأمة، لا أن يحط من شأنها كما يروّج البعض؛ أن المسلمين يفعلون أشياء غير معقولة، ويتعبدون ربهم ويطيعونه دون فكر وتعقل. هذه المعاني يجب غرسها في نفس الطفل لتنمية شعوره بالانتماء إلى رب حكيم، ورسول أمين، وأمة واحدة متحدة خاصة في المناسبات والشعائر التي تجمع المسلمين جميعًا، مع محاولات جادة لمسح النظرات السلبية التي لحقت بالدين نتيجة لسوء فهمه وسوء تفسيره عند بعض المنتسبين له.

من المهم أيضا إظهار الفرق بين ما هو أمر تعبدي وما هو معقول المعنى من الأحكام والتكاليف، مع بيان أن التحسين والتقبيح عندنا أمر شرعي لا عقلي، إذ العقل محدود وقاصر، وأن الامور التعبدية لم تشرع لتحقيق المصالح الدنيوية، وأن ثمة أحكام في الشرع ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي وسائل وذرائع ووسائط، ومن ثم تكون مرنة وقابلة للتغيير بحسب ما يحقق المقصد من ورائها، فالثابت هو المقصد والوسائل خادمة له. بهذه الطريقة يتم بناء تصور منضبط عن الشريعة وصاحبها، فلا يكون ذلك الإله المتسلط الذي يأمر وينهى ولا يكون الدين فقط افعل ولاتفعل[١]. كذلك لا بد من التمييز بين محالات العقول ومحارات العقول؛ فعجز العقل وحيرته في فهم أمر ما لعجز أصيل فيه، غير نسبة الأمر الى المحال والتناقض، فلا يلزم إذن من العجز عن الإحاطة بواقع الشر القول إنه بلا غاية ولا حكمة.

---

[١] لمزيد من التفصيل حول ضبط هذه التصورات انظر على جمعه: مكونات العقل المسلم ودرجات المعرفة، ط٢ ٢٠٢١م دار الوابل الصيب.

إن خلق الشر ليس شرًا، وإنما كسب الشر شر؛ لأن الخلق والإيجاد يُنظر إليه من حيث النتائج العامة، فوجود شرٍ واحد إن كان مقدمة لنتائج خيرة كثيرة فإن إيجاده يصبح خيرًا باعتبار نتائجه؛ أي يدخل في حكم الخير[١]. فمثلا : النار لها فوائد ومنافع كثيرة فلا يحق لأحد أن يقول: إن إيجاد النار شر؛ إذا ما أساء استعمالها باختياره وجعلها شرًا ووبالًا علي نفسه. وكذلك خلق الشياطين وإيجادهم فيه نتائج كثيرة ذات حكمة للإنسان كَسِمُوّه في سلّم الكمال والرقيّ بالمجاهدة. فلا يسيغ لمن استسلم للشياطين _باختياره وكسبه الخاطئ _ أن يقول: إن خلق الشيطان شر. ولكن على وعي ب"أن وجود إمكانية لاقتراف الشر والوقوع في الرذيلة يشكّل مظهرًا مهمّا من مظاهر ابتلاء الله تعالى لعباده. وكلما درجت البشرية في سبل العمران والتحضر اتسعت الإمكانات أمام أهل الخير وأهل الشر؛ لكن بما أننا نعيش في ظل حضارة مادية إلحادية، فإن اكتشاف مساحات نشر الخير تحتاج إلى نوعٍ من الإبداع، بينما الشر يطرق الأبواب، وكثيرًا ما يدخل من غير استئذان. الخبرة القديمة لدينا في مقاومة الشرور كانت تعتمد على النهي والزجر.. وهذا الأسلوب سيظل مطلوبًا، لكن التجربة التاريخية علمتنا أن الضغط الاجتماعي اذا لم يصحبه تربية جيدة وتنمية أجود للوازع الداخلي فإن آثاره ستكون أقرب إلى السلبية منها الى الإيجابية[٢]".

في دراستين حديثتين نشرتا عام من قبل الجمعية الأمريكية لعلم النفس **APA** عام ٢٠١٧ تم تسليط الضوء على العلاقة بين التجارب الشخصية والموقف من الله والإيمان به. الدراسة الأولى شملت ١٧١ ملحدًا صريحًا، والدراسة الثانية شملت ٤٢٩ مشاركًا بين ملحد ولاأدري. في الدراسة الأولى أقرّ ٧٦% من المشاركين بوجود تجربة شخصية عاطفية سلبية تجاه الله أو فكرة الإله مقابل ٨٩% أقرّوا بالأمر ذاته من المشاركين في الدراسة الثانية. لقد أقرّوا بأن هذه التجارب الشخصية العاطفية كان لها أثر في موقفهم من الله؛ أي في إلحادهم أو لاأدريتهم، مع تصريح الغالبية منهم بأن هذه الأسباب العاطفية أقل أهمية من الأسباب العقلية والفكرية في تشكيل موقفهم من الله. تتفق نتائج

---

[١] يرتبط تعريف الشر عند ابن سينا بثنائية "الوجود والعدم" فيقال على الشئ انه شر عندما يترتب عليه حرمان الموجودات من الكمال، فالعمى (عدم البصر) على ذلك يعد شرا ذاتيا وليس بالقياس الى اي شئ آخر. اما اذا كانت الامور التي نحكم عليها بانها شرور وجودية، فان ابن سينا يرى انها ليست شرورا بذاتها، بل لانها تتضمن عدم أمور ضرورية او نافعة، مثال ذلك القتل؛ فهو من حيث قدرة القاتل على استعمال آلة القتل يُعد كمالا له، كما يعد كمالا للآلة، فيما هو شر للمقتول لانه يتضمن زوال حياته، فالخير هو الوجود والشر هو العدم. فخر الدين الرازي: المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، نسخة وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، ج٢ ص ٥٢٠ بتصرف.

[٢] عبدالكريم بكار: محاصرة الشرور، ص١٥

هذه الدراسة مع دراسة سابقة ركزت علي مشاعر الغضب تجاه الله عند أشخاص عانوا من السرطان أو مرّوا بأزمة وفاة شخص قريب لهم. فئة الملحدين واللاأدريين كانت مشاعر الغضب لديهم أعلي (٥٣%) من الفئات الأخري المؤمنة بمذاهب وأديان مختلفة. لا يحتاج المرء الي كثير من البحث لكي يربط بين نتائج هذه الدراسات وبين ما ينتشر حاليًا من الإلحاد الجديد في المجتمعات العربية؛ الذي يغلب عليه الشحن العاطفي السلبي. بالتاكيد هناك حديث علمي وعقلي ومنطقي يُستخدم ايضا، لكن الجزء العاطفي من المسالة واضح ودوره بارز ـإذا أخذنا نتائج الدراسات السابقة الذكر بنظر الاعتبارـ في أكثر من نصف الحالات، باعترفهم المباشر، وقاربهم ال ٨٠% دون تصريح بذلك[1].

"لكن ما يميز التجربة العلمية من الإلحاد الجديد هو أن الجانب الشخصي فيها ارتبط بالعام الي حد كبير، فبينما التجارب الشخصية في هذه الدراسات ارتبطت بأحداث عائلية أو شخصية من النوع الفردي، فان التجارب الشخصية في السياق العربي ارتبطت بأحداث عامة اجتاحت البلدان العربية بعد ٢٠١١م خصوصا وهي الأحداث التي تزامنت مع سقوط المقولات التي استثمرتها تيارات الإسلام السياسي مثل: الإسلام هو الحل، ومن ثم جاءت داعش (وأخوات لها ) لتكمل الصورة بارتكاب فظائع تحت شعار: هذا هو الاسلام"[2]. هناك أيضا ملاحظة أساسية وهي: "أن حالة الإلحاد الجديد بمجملها تعتمد على شيئين:

الأول: تمييع اليقين بحيث يصبح الهدف الأساسي في أي طرح هو ضرب الثوابت اليقينية، والتأكيد على نفي اليقين الموضوعي كبداية. لأنه متى هُدمت الخلفية المرجعية للإنسانٍ –والتي تعطيه المشروعيه لاي فعل وتملي عليه حركته في هذا الوجود– أصبح مطواعا لأي شئ يقدمه الإعلام او غيره كبديل لها، ومن ثم فهو مجنّد محتمل لأي فكر تجاري أو أيدلوجي.

والثاني : هو تهوين التشكيك من خلال تغذية الانسان بمفاهيم النسبية، وزعزعة اطمئنانه بأي ثابت يعتمد به، بحيث يفقد الاستقرار النفسي والعقلي فيعيش حاله قلقة تجعله في سعي مستمر إثبات نفسه وسطوته علي غيره، ويقاس نجاحه لا علي صعيد نجاته الأخروي وحسن عمله الدنيوي، بل علي ما جناه وحققه في حياته الدنيوية وما حازه من سلطة ومال ونفوذ أو تاثير. لذلك فان أي مائع فكريا لا

[1] مُحَمَّد جمال: مقال "ظاهرة الإلحاد الجديد" على موقع رقيم بتاريخ ٨ سبتمبر ٢٠١٩م
https://www.rqiim.com/gmedo442

[2] أحمد خيري العمري: ليطمئن عقلي الإيمان من جديد بمواجهة "إلحاد جديد"، ط١ ٢٠١٩م، ص ٢٩

يملك القدرة علي النقاش المنهجي والتأسيسي؛ بل نقاشه كله بالأمثلة والنتائج وهو ما يطلقون عليه عبارة "الاستناد الي الواقع " لتمييع حقيقتها.

على سبيل المثال: في مناقشه زواج المثليين تراه يقفز إلي أمثله ونتائج موجودة في الواقع مثل، لماذا تقف في وجه الحب؟ بماذا يضرك وجود اثنين يحبان بعضهما؟ الدول المتقدمه والمتطورة لم تتخلف بتشريع جواز المثليين ....الخ . والعاميّ حين يسمع مثل هذا فإنه سيقبله طالما لم يسع للتفكير والتحليل، بل القبول والتسليم مع ما تم برمجته عليه من قبول النسبية في كل شئ. بينما يجب ان يبدأ النقاش من الأصل بمصادر المعرفة عند الإنسان ودور العقل، انطلاقا منه الي أهميته، وصولًا إلى ما يرشد الإنسان إليه من حفظ النوع وطلب الأمن وبناء السكن والسعي للاستقرار وطبيعة الانجذاب الي النوع المغاير لتحقيق ذلك، وهو ما لا تنفيه وجود حالات شاذة بغض النظر عن دوافعها أو طبيعتها، وتعارض هذا مع تفشي الإباحية والمثلية، فإن حجته المؤيدة لمثل هذا الشذوذ تسقط بسبب التعارض مع العقل الذي يدعوه اليه ويطعنه من الخلف.

خلاصة القول: انه عندما يُترك العقل دون تربية وإنماء في الاتجاه الصحيح، فمن المتوقع أن تتغير الأولويات، وتضطرب المفاهيم، وتكثر الشبهات، وتظهر البدع والعقائد الفاسدة. وعندما يُترك القلب بدون تعاهد وإمداد إيماني فإنه سيصبح أسيرًا للهوى تابعًا له؛ كلما اشتهى فعل، وكلما رغب اندفع، لا يبالي بحلال أو حرام، تتبلد مشاعره وتقسو، فلا يكاد يتأثر بموعظة. وعندما تترك النفس بدون تزكية، فستجد أمامها المجال مفتوحًا للفجور والطغيان وسوق صاحبها لفعل الفواحش والموبقات. وعندما تُترك حركة المرء وجهده البدني بدون توجيه فمن المتوقع أن يستهلكها في تحقيق شهواته ورغائبه دون ضوابط. فيكون مآله التيه والتخبط والضياع. لذلك فإن معركة الإصلاح والتغيير الحقيقي للأمة روحها التربية، ولا بد أن يتم تطويع جميع الوسائل لخدمة هذا الأمر، فإن تركنا هذه المعركة فسنظل في أماكننا نراوح بين أقدامنا، ونشتكي من واقعنا، وهذا ينقلنا للحديث عن كيفية التحصين ووسائله.

## المحور الثالث

## المنهج الأشعري ورؤيته التكاملية للتربية الإيمانية

إن التصور الإسلامي للحياة تصور كلّي يتعدّى حدود الفرد – وإن كان يهتم به – إلى المجموع، ثم تتسع دائرة التصور لتشمل العالم أجمع، والحياة بمعناها الممتد؛ الدنيوية والأخروية. ضمن هذه السلسة تأتي الأسئلة التي تتعلق بالإله الخالق، لأنها فطرية ومغروسة فينا، بسبب تلك النفخة الربانية الموجودة بداخلنا. نعم قد يعبّرون عنها بطريقة ساذجة، لكن لا ينبغي أن تقلل هذه السذاجة من اهتمامنا بهذا النوع من الأسئلة، بل وتشجيعهم على الاستمرار في التفكير وطرح المزيد منها، مع محاولة فهم الدوافع الأخرى للسؤال.

لذا من الواجب أن يبادر الأبوان بطرح الأسئلة عليهم، ولفت نظرهم إلى المعاني الإيمانية، مع أمثلة بسيطة، بهدف ربطهم بالله عز وجل، ثم التدرج معهم حسب مستواهم العقلي وقدرتهم على الاستيعاب، فنبدأ معهم مع بدايات النطق وتعلم الكلام، ليكون لفظ الجلالة "الله" دائمًا على ألسنتهم، وربط ذلك بلحظات الفرح والسرور لديهم، كأن يشتري الأب "لعبة" للطفل، فيخبره بأن الله هو من رزقه الأموال التي اشترى بها هذه اللعبة، وعلينا إذن أن نحمده ونشكره وهكذا. فنجعلهم يدخلون على الله تعالى من باب شكر نعمه الكثيرة علينا، من أول اللقمة واللعبة إلى السماء والشمس والمطر. خاصة أن الأطفال في هذه السن عبارة عن صفحة بيضاء، لديهم من الوسائل ما يفهمون ويتعلمون بها، كما يخبرنا الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]. هنا تأتي مسئولية الأب والأم في الحرص على تقديم معلومات وإجابات صحيحة دون تسرع أو استخفاف. حيث إننا نجد في بعض الأحوال التي يكون فيها الأب أو الأم أو كلاهما مشغولًا، ويريد أن يقطع الحديث على ابنه، فيعطيه أي اجابة ليسكته. على الرغم من أن هذه فرصة جيدة يجب استثمارها، حيث إن الطفل في هذه الحالة يكون شديد التركيز والإنصات، لأنه هو من يسأل ويريد أن يحصل على إجابة،كسؤاله: كيف جئت الى الدنيا؟ فينبغي عندئذ أن تبدأ الام بإخباره أنه جاء بعد حمله فيه، وبعد أن ظل في بطنها فترة من الزمن، ثم خرج الى الدنيا عن طريق عملية جراحية أو غيره، وأن الله هو الذي خلقه في بطنها، لذا يجب علينا أن نشكره. وإذا كان أكبر سنا فسيكون من المناسب أن نذكر له قصة خلق سيدنا آدم،

---

[1] سورة النحل ٧٨.

وكيف بدأت الحياة على هذه الأرض، ولماذا خلقنا الله تعالى وهكذا. لكننا في الواقع نجد بعض الأمهات تستخف بعقول أبنائها، فنرى إحداهن تخبره بأنها وضعت بعض السكر تحت السجَّادة، فوجدته قد جاء عليها. والذي حدث بعد ذلك أن الطفل – ببراءة – وضع بعض السكَّر على السجادة، فلما رأى بعض الحشرات عليها فرح بها، ولما قتلتها أُمُّه؛ لتنظف المكان، صرخ وبكى، قائلاً لها: كيف تقتلين أولادي؟! من الأمثلة المشهورة أيضا انه بمجرد الحديث مع الطفل عن الله ووجوده فيسأل: أين الله؟ فيجيب البعض – إما جهلا أو استسهالا_ بأنه في السماء. قد تكون هذه الإجابة –مع خطئها– كافية في المرحلة الأولى، لكنْ خطؤها وخطرها يظهر بعد ذلك، عندما يبدأ الطفل في التفكير بعقلانية عن كيفية احتواء المخلوق للخالق سبحانه، وأين كان الخالق قبل خلق السماء والمخلوقات جميعا؟ وهكذا تتوالى العديد من الأسئلة المنطقية على ذهنه.

هذا النمط من الإجابات، وإن كان سهلًا ومريحًا للأم في هذه اللحظة، إلا أنه يترك انطباعات سلبية لدى الطفل، سواء على المستوى العقلى أو النفسي. مما يساهم في تنشئة جيل إما ساذج ليس لديه أدنى معرفة صحيحة بدينه ولا بالغاية من وجوده، أو جيل لا يثق بنفسه ولا بدينه ولا بمن حوله، لأنه لم يجد من يعطيه الإجابات الصحيحة لما يرد في ذهنه من أسئلة. لذا لا بد من البحث عن الإجابات التي تتناسب مع عقولهم، وفي نفس الوقت تشبع نهمهم المعرفي وتلبي حاجتهم العقلية، وتساعد كذلك في بنائهم إيمانيا ودينيًا. مع الحرص على تعليمهم المبادئ الأساسية للتفكير النقدي وقواعده، بهدف فلترة ما يُعرض عليهم. فالأطفال عادة يتوجَّهون إلى من هم في مثل عُمرهم، أو إلى مواقع التواصل، أو أي وسيلة من وسائل الإعلام غير الموثوقة، فيأخذون منها ما يشاءون من معلومات مغلوطة، وأفكار مشبوهة، والأمر أخطر عندما يتعلق الأمر بالدين والعقيدةُ، خاصة في ظل الانفتاح وكثرة روافد المعرفة.

هنا نستطيع أن نبين أن منهجية الأزهر الشريف تقوم على ركيزتين:

١– الاولى: المسلمات والتصورات التي يبني عليها الفرد إيمانه.

٢– الثانية: القواعد التي تحكم عملية استنتاج الحقائق العلمية من المسلمات الأولية في رحلة بناء القناعات.

هذه المنهجية تشدد وتؤكد على أهمية المنهج وصوابيته فتجعل صواب المنهج أهم من إصابة الحقيقة نفسها، لأنه من البديهي اذا اجتمع المنهج السليم مع التصورات والمعارف الصحيحة كمقدمات، فإن ذلك حتما سيقودك الى النتيجة الصحيحة. "هذه المنهجية تجد أصولها في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأيضا فيما انتهى اليه علماء التراث من حقائق ومسلمات، كتقريرهم أن حقائق

الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسوفسطائية، فقطعوا بذلك السبيل على الشكوك والأوهام التي سارت بها بعض المدارس الفلسفية حتى شكّوا في وجودهم وحتى شكّوا في شكهم، فانتقلوا من ضلال إلى ضلال ولم يتمكنوا من إثبات شئ. وكتقريرهم لمسلمات لا بد منها لبناء أي قناعة علمية سواء كانت هذه المسلمات عقلية أو قلبية. وسلكوا مسلكًا واضحًا راسخًا بين المسلّمات والحقائق فلم يثبتوا حقيقة أولية إلا بحس أو شرع أو عقل، ولم ينتقلوا منها لأخرى إلا بدليل[١]".

هذا هو المنهج الأزهري الأشعري عقيدة؛ منهج وُلد ليكون ميزان اعتدالٍ ووسط حقٍ بين أطراف متناقضة من الغلو الفكري والتطرف العقدي، وقف بعضها عند ظاهر النص وتبنّى معاداة العقل وضوابطه وتعبّد بعضها الآخر بالعقل وحكّمه في كل شاردة وواردة حتى جاوز النص، ليخرجوا على الناس بعقائد مشوهة يحاكمونهم بها ويقاتلونهم عليها. فجاء المنهج الأشعري ليجمع بين نور العقل ونور الشرع ليكون نورًا على نور. لذلك عني علماء هذا المذهب بتقديم رؤية واضحة تقوم على تزكية النفس وتطهيرها وعمارة الأرض وهداية الأمم ووراثة النبيين وبناء الإنسان على الربانية والبصيرة والإنابة إلى الدار الآخرة وتحصيل مكارم الأخلاق وبناء الحضارة وصناعة النهضة حتى تكون الأمة المحمدية رحمة للعالمين. من أهم هؤلاء العلماء الإمام أبوحامد الغزالي[٢] الذي وضع لنا برنامجًا تربويًا متكاملا مستمدًا من الكتاب والسنة، جامعًا بين المعارف الإلهية والخبرات التربوية الحياتية ليكون صالحًا لتربية الطفل المسلم في كل زمان ومكان. فالتربية عنده ضرورة وجود لا تقوم سعادة البشرية بدونها، بعد أن هضم ثقافة عصره، واجه التيارات الفكرية المعاصرة له، وراح يرسم خطة لتكوين شخصية سوية تخوض معترك الوجود، مزودة بقيمها وهويتها حتى لا تجرفها تلك التيارات، من أجل هذا حدّد أبو حامد مشروعه الإصلاحي للقيم التي ينبغي ترسيخها في النفس البشرية.

مشروع الغزالي في التربية الإيمانية:

[١] محمد عبدالصمد مهنا، معالم المنهج الازهري ص٤٢، نقلا عن مدخل عام الى علوم التراث ص٩. ينظر ايضا حمد الله الصفتي:"الشخصية الأزهرية ومنهج الإصلاح"، مجلة الرسالة الصادرة عن مركز الاعلام العربي السنة ١١، العدد ٤٢،عام ٢٠١٢م، ص٩٢،٩١.

[٢] الإمام أبوحامد الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الطوسي النيسابوري الملقب بزين الدين، ولد بطوس من إقليم خراسان عام ٤٥٠هـ وتوفي عام ٥٠٥هـ. انظر صالح الشامي: الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، ط١ ١٩٩٣م، دار القلم.

**يعتبر أبو حامد الغزالي أقرب مفكر إسلامي إلى الابتكار في معالجة موضوع الطفولة برؤية علمية دقيقة[١]، فهو في مشروعه الفكري خير من نظر إلى النفس الإنسانية من حيث دوافعها، وغرائزها، وكيفية السمو به في مدارج الصلاح، لضمان سعادتها في الحال والمآل. لقد تناول الإمام الغزالي "علم الأخلاق" في جل أعماله برؤية تحليلية جعلت منه فيلسوفًا أخلاقيًا، ومن خلال مشروعه هذا[٢] وضع للطفل ثوابت تربوية، لو استرشد بها في سلوكه العام لتمكن من مواجهة كل ما يعترضه من متغيرات، فكيف نظر أبو حامد إلى أهمية التربية ودورها في بناء كينونة الفرد؟ وكيف عالج في رؤيته التربوية دور الأسرة ودور المعلم "المدرسة" في تربية الطفل؟ وما هي الواجبات والمسؤوليات التي وضعها أبو حامد على عاتق طالب العلم؟ ما الذي يمكننا أخذه وتطويره لمواجهة متغيرات عصرنا، ليحتفظ أولادنا اليوم بشخصياتهم وهوياتهم إزاء هذه التحولات السريعة والمتلاحقة؟**

**يقول الإمام الغزالي في الإحياء في كتاب رياضة النفس (بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم): "اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابلٌ لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسَعِد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُود الشر وأهمِل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له، وقد قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم**

[١] الإمام الغزالي مربي ومصلح، مارس التعليم معظم فترات حياته برؤية واضحة المعالم، ورسم منهجًا مفصلا لتربية الطفل وتأديبه، وتحسين أخلاقه. مذهبه في الحياة كان صورة لشخصه، وقد استوعب مختلف القضايا الإسلامية، وحلل جزئياتها، واستنبط حلولها في إطار مشروع فكري يقوم على فلسفة تربوية تصلح لكل متعلم. وبالرغم من بروز الجانب التعليمي التوجيهي التربوي في آثار أبي حامد الغزالي، فإن هذا الجانب لديه لم يحظ بما يستحقه من عناية اللهم الا بعض الجهود المتفرقة مثل المشروع الذي قامت به مؤخرا الدكتورة عائشة الامريكية والمتمثل في كتاب "احياء علوم الدين للاطفال" وخاصة كتاب العلم، باللغة الانجليزية، وقد ترجم هذا العام الى اللغة العربية من خلال دار الفكر .

[٢] يحدد الغزالي في مشروعه معالم رؤية تربوية تصمد أمام المناهج المختلفة؛ المتعارضة، والمتصارعة في عصره، وأن الشعور الديني أساس بناء الشخصية، وقوام انسجامها وتكاملها. وقد ارتبطت حياة الغزالي العلمية بالبحث عن الحقائق، وتميزت منهجيته بالملاحظة الدقيقة للوقائع والأحداث، والقدرة على التأمل في خطرات النفس وأحوالها، فقد اعتبر العلم نورا، إذا أشرق أحاط بالكل، وكشف الغطاء، ورفع الاختلاف، يقول عن نفسه: "وقد كان التعطش إلى درك الحقائق: دأبي وديدني، من أول أمري وريعان شبابي، غريزة وفطرة من الله، وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد، وأنكرت علي العقائد الموروثة، على عهد قرب الصبا. انظرأبوحامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص١٢-١٣.

وأهليكم نارًا"[١]. وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: "ما نحل والد ولدًا من نحلٍ أفضل من أدب حسن"[٢]. والأدب الحسن أن يعلمه الواجب عليه لربه ولنفسه وللخلق؛ فيعلمه كيف يعبد ربه وكيف يقوم بأمر نفسه وكيف يعامل الناس وكيف يحسن عشرتهم. ولا يفرّق الإسلام في هذه الناحية بين الذكور والإناث، فلكل من الصنفين الحق في يربى تربية حسنة وفي أن يتعلم العلم النافع لتكمل إنسانيته ويتحقق فيه مراد الله من خلقه. "ومهما كان الاب يصونه – أي الولد– عن نار الدنيا.. فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق"[٣].

- أهمية الطفولة في تصور الغزالي: الطفل مادة أولية قابلة للتشكيل في ضوء أي تصور تربوي ممكن، والتربية قيمة يرتبط بها الوجود البشري وجودًا وعدمًا، قيمة يتحقق بها الكمال البشري. وكما أن البدن في الابتداء لا يُخلق كاملًا، وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية والغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم، الحديث: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". وكما أن الإسلام قد وضع الوسائل لإعداد الفرد بدنيًا كالحرص على النظافة وجعل الطهارة شرطًا لصحة العبادة،كذلك وضع العديد من الوسائل لإعداده عقليًا، أولها وعلى رأسها القراءة والتعلم؛ فكان أول أمر في الإسلام "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّك"، ثم الأمر بعد ذلك بالتعقل والتفكر والتدبر. يقول الغزالي: "بل ينبغي أن يراقبه في أول أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأه صالحة متدينة تأكل الحلال؛ فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث"[٤]
- الطفل روح وعقل وجسم: قدّم الغزالي نظرة تكاملية لتربية الطفل، ووجد أن تلك التربية لا تقوم إلا إذا وجهنا عنايتنا إلى روح الطفل وعقله وجسمه على السواء، لأن إهمال أي واحد من هذه العناصر ينتج نقصًا في التربية، قد ينتقل أثره إلى العنصرين الآخرين. فوظيفة التربية عند الغزالي هي تقوية الروح حتى تتغلب على شهوات الجسد، وتسترد مكانتها وسيطرتها عليه، يقول الدكتور

---

[١] ابوحامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مج ٥ طبعة دار المنهاج ٢٠١١، ص ٢٥٤.

[٢] رواه الترمذي

[٣]إحياء علوم الدين، مج٥ ص٢٥٤.

[٤]الاحياء: مج٥، ص ٢٥٤.

أحمد فؤاد الأهواني: "وقد جمعت التربية الإسلامية منذ ظهور أول الإسلام بين تأديب النفس، وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم، فهي تعنى بالتربية الدينية، والخلقية، والعلمية، والجسمية، ودون تضحية بأي نوع منها على حساب الآخر"[1]. وقد وضع لكل جانب من هذه الجوانب الواجبات والآداب المتعلقة به، والتي لا تتم التربية الا بها.

- جاء تصنيف هذه الواجبات، كما أوردها الغزالي في كتاب "الإحياء"، كما يلي:

١- أدب الأكل عند الطفل: يأتي ذلك ضمن ما يتعلق بالتربية البدنية التي هي أول ما ينبغي مراعاته وتوجيه الطفل فيه، يقول الإمام الغزالي: "وأول ما يغلب عليه أي الطفل من الصفات شره الطعام، فينبغي أن يُؤدب فيه؛ مثل ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدّق إلى الطعام ولا إلى من من يأكل، وألا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ، وألا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه، وأن يُعوّد الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأُدم حتما"[2]. ثم يواصل الإمام الغزالي توجيهه ببيان الحسن والقبيح في هذا الجانب ليعالج بها الكثير من الآفات التي قد تحصل عند الطفل، فتفقده بعد ذلك جانبًا من إنسانيته وتشغله عن دور مهم في آداء رسالته قائلا: "ويقبّح -أي المربي- عند الطفل كثرة الاكل؛ بأن يشبّهِ كل من يكثر الأكل بالبهائم .. وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به، والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان"[3]. ثم ينتقل إلى مستوى أعلى في تحقيق التربية البدنية وهو التريّض، فيقول: "ويعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل"[4]. هكذا يكون التوازن في التربية البدنية؛ نهتم بالبدن لكن دون إفراط حتى لا ينعكس سلبًا على العقل والروح.

٢- لباس الطفل ورفاهيته: ينتقل الإمام بعد ذلك إلى توجيه آخر مهم في التربية البدنية، يؤثر إهماله سلبًا على شخصية الطفل في الكبر، فقد يولّد فيه شعورًا بالعجب والخيلاء ويؤدي الإفراط فيه إلى تكوّن شخصية سطحية تهتم فقط بالمظاهر. يقول الغزالي: "وأن يُحبب إليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم، ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه،

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ط ٢ القاهرة، دار المعارف ١٩٦٨م، ص٩.

[2] الإحياء، مج٥، ص ٢٥٥.

[3] الإحياء: مج٥، ص ٢٥٥.

[4] الإحياء: مج٥، ص٢٥٨.

ويكرر ذلك عليه"[١]، وألا يحبب إليه أسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها، ويعسر تقويمه بعد ذلك. لكنه لا يكتفي بهذا الجانب كما يفعل الكثيرون اليوم، بل ينتقل إلى جانب عظيم في التربية وهو التربية العقلية.

٣- تعليم الطفل: يقول الغزالي: "ثم ينبغي أن يُشغل في المكتب، فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم" ثم يوضح سبب ابتدائه بهذا فيقول: "لينغرس في نفسه حب الصالحين"[٢]. هذا التوجيه والترتيب في سلم التعلم والمعرفة يفسر لنا كثيرًا من فساد الأخلاق والنفور من الدين في هذه الأيام نتيجة للخلل الذي أصاب تصوراتنا عما ينفع أولادنا في بداية طفولتهم، حيث تركّز اهتمام كثير من المربين حول تعلم لغات أخرى وثقافات مختلفة دون ترسيخ المفاهيم والقيم الإسلامية أولا، فينمو الطفل وهو منقطع الصلة عن دينه وتراثه، ثم يعود هولاء المربون ويشتكون في مراحل متأخرة من نتائج هذا الخلل الذي ابتدؤوه.

وقد حثّ الإمام الغزالي على الاهتمام بعقيدة الطفل وتلقينها منذ صغره لينشأ عليها فيقول: "اعلم أن ما ذكرناه في العقيدة ينبغي أن يُقدّم إلى الصبي في أول نشوئه، ليحفظه حفظًا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئا، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شَرَحه في أول نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة أو برهان"[٣]. ومن ذلك ما ورد عن جندب بن عبدالله أنه قال: كنّا غلمانًا حزاورة مع رسول الله ﷺ، فتعلّمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلّمنا القرآن فازددنا به إيمانا"[٤].

٤- مكافأة الطفل وعقابه: يُمدح الطفل عن خلقه الجميل أمام الناس ويُجازى، وإن خالف مرة واحدة يتغافل عنه، وإن عاد يعاتب سرًا، ولا نكثر عليه العتاب فإنه يهوّن عليه سماع الملامة.

٥- جلوس الطفل وكلامه: يرى الغزالي أنه يجب على المربي أن يعلّم ولده كيفية الجلوس، ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه عادة أبناء اللئام، "ويمنع أن يبتدئ الكلام، ويُعوّد ألا يتكلم إلا جوابًا وبقدر السؤال، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه

---

[١] الاحياء: مج٥، ص٢٥٦.

[٢] الإحياء: مج٥، ص٢٥٦.

[٣] الإحياء: مج١ ص٩٤.

[٤] صحيح ابن ماجه: رقم ٥٢.




سنًا، وأن يقوم لمن فوقه ويوسّع له المكان ويجلس بين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب"[١].

٦- حقه في اللعب: يرى الغزالي أنه "ينبغي أن يؤذَن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعبًا جميلًا، يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب، وإرهاقه بالتعلم، يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا"[٢].

٧- صيانة الطفل من رفقاء السوء: يُحفظ الطفل من قرناء السوء، ومن الأطفال الذين عودوا التنعم والرفاهية، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء، وصيانة الطفل تعني تأديبه وتعليمه محاسن الأخلاق، ولعل من أهم الأسباب التي تعين المرء على الاستمرار في تربية نفسه وبذل جهده في سبيل الله هو وجوده في وسط صالح، وصحبة طيبة، إذا نسي ذكروه، وإذا عزم أعانوه، وإذا غاب تفقدوه ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[٣].

٨- ملء وقت فراغ الطفل: يشغل وقت الطفل بالأمور النافعة، ويبعد عن كل ما يبذر في قلبه الفساد، ويمنع من النوم نهارًا فإنه يورث الكسل.

٩- طاعة الوالدين، والمعلم، واحترام الكبير: يُعلّم الطفل طاعة والديه، ومعلمه، ومؤدبه، وأن يحترم من هو أكبر منه سنًا، من قريب وأجنبي، وأن يقوم لمن هو فوقه، ويوسّع له المكان، ويجلس بين يديه، ويحسن الاستماع إليه. ثم يشير الإمام الغزالي إلى أن ذلك كله من حق الطفل قبل بلوغه سن التمييز (سبع سنوات)، فاذا بلغ هذا السن فاننا ننتقل معه إلى مستوى أعلى مما سبق.

١٠- أمره بالعبادات: "ومهما بلغ سن التمييز.. فينبغي ألا يُسامح في ترك الطهارة والصلاة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان، ويجنَّب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلَّم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوَّف من السرقة، وأكل الحرام، والخيانة، والكذب، والفحش، وكل ما يغلب على

---

[١] الإحياء: مج٥، ص ٢٥٩.

[٢] الإحياء: مج٥، ص٢٦٠.

[٣] سورة الكهف: ٢٨

الصبيان". ثم يبين لنا غاية ذلك التي نجد فيها ضبطا لتصورنا عن الحياة بمعناها الواسع الذي يشمل الدنيا والآخرة بقوله: "فاذا وقع نشوءه كذلك في الصبا؛ فمهما قارب البلوغ ..أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور فيُذكر له أن الأطعمة أدوية، وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على عبادة الله تعالى، وأن الدنيا كلها لا أصل لها؛ اذ لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وأنها دار ممر لا دار مقر، وأن الآخرة دار مقر لا دار مفر، وأن الموت منتظر في كل ساعة..."[1]. لأنه إذا كان النشوء صالحًا، كان هذا الكلام عند البلوغ واقعًا مؤثرًا ناجعًا، يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر. وإن وقع النشوء بخلاف ذلك؛ حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر، نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن الطيب اليابس.

- دور المعلم المربي: نعلم أن العلم والعمل وسيلتان إلى السعادة عند الغزالي، وإذا كان "العلم بلا عمل جنون، والعمل بلا علم لا يكون"[2]، "فإن العمل لا يتصور إلا بعلم بكيفية العمل"[3]. ويقرر الغزالي: "أن على من يتصدى لتعليم غيره وإصلاحه أن يبدأ بتعليم نفسه وإصلاحها، ولا يشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليه بحسب ما تقتضيه حاله"[4].
- مراعاة الفروق بين الأطفال: نجد أن الغزالي يدعو إلى استعمال الأسلوب الأنسب لكل متعلم، ونراه يهتم بأصناف المتعلمين، ويراعي الفروق ينهم، ويؤكد هذه الحقيقة كلما تناول ما يعتري النفوس من أحوال، وما يحدث للأشخاص من مواقف تترتب عنها أنواع شتى من السلوك.
- وظائف المعلم: وقد حدد الغزالي وظائف المعلم االمرشد في ثماني وظائف، أوردها في كتابه ميزان العمل كالتالي:

- الوظيفة الأولى: أن يجري المتعلم منه مجرى أبيه، وحق المعلم أكبر من حق الأب، فإنه سبب حياته الباقية، والأب سبب حياته الفانية. وكما أن من حق بني الأب الواحد أن يتحابّوا، فكذلك حق بني المعلم، بل حق بني الدين الواحد، لأن أخوة الفضيلة فوق أخوة الدين، ومنشأ التباغض بين طلبة العلم إرادتهم المال والرياسة.

[1] الاحياء: مج ،٥ ص٢٦٠.

[2] ابوحامد الغزالي: رسالة أيها الولد،

[3] ابوحامد الغزالي: ميزان العمل، ص١١٩

[4] ابوحامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ط١ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، ص ١٩

- الوظيفة الثانية: أن يقتدي بصاحب الشرع؛ فلا يطلب على إفادة العلم أجرا وجزاء، فالعلم منزه عن الأغراض الدنيوية، وطلب المعلمين للرياسة منشأة قصور علمهم، وعدم ابتهاجهم بكمال علومهم الذاتية، فأطمع ذلك المستفيدين منهم فيهم.
- الوظيفة الثالثة: ألا يدخر المعلم شيئًا من نصح المتعلم وزجره عن الأخلاق الرديئة بالتعريض والتصريح، ومنعه أن يتشوف إلى رتبة فوق استحقاقه، وأن يتصدى لاشتغال فوق طاقته، وألا يطلب العلم لأغراض الدنيا.
- الوظيفة الرابعة: ينبغي أن ينهى الطفل عما يجب أن ينهى عنه بالتعريض لا بالتصريح، لأن التعريض يؤثر في الزجر، والتصريح بالزجر مما يغري بالمنهي عنه، والنفوس الفاضلة التي تتنبه لما خفي من الأمور تميل إلى التعريض، شغفًا باستخراج معناه بالفكر، والتعريض لا يهتك حجاب الهيبة.
- الوظيفة الخامسة: ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي له أن يقبّح العلم في نفس المتعلم، كمن يقبح العلوم العقلية وهو يدرس الفقه، بل على المعلم أن ينبّه على قدر العلم الذي فوقه ليشتغل به عند استكمال ما هو بصدده.
- الوظيفة السادسة: مراعاة استعداد المتعلمين بأن يقتصر بهم على قدر أفهامهم، ويراعي التدرج من الجلي إلى الخفي على قدر استعداد المتعلم، على أن إمساك العلم عمن يفسده أولى من نشره، فليس الظلم في منع المستحق بأقل من الظلم في إعطاء غير المستحق، وادخار حقائق العلوم عن المستحق لها فاحشة عظيمة.
- الوظيفة السابعة: المتعلم القاصر يذكر له ما يحتمله فهمه؛ وذلك حتى لا يفتر رأيه فيما يتعلمه، والعوام لا يُشوّش عليهم اعتقادهم بالتأويلات البعيدة، وينبغي أن يتم إرشادهم إلى العبادات الظاهرة، والأمانة في الصناعة التي هم بصددها.
- الوظيفة الثامنة: أن يكون المعلم عاملًا بما يعلمه، فعلى المعلم ألا يكذب سلوكه قوله، فينفر الناس من الاسترشاد والرشد، فلتكن عنايته بتزكية أعماله أكثر منه بتحسين علمه ونشره، وذلك أن العمل مدرك بالبصر، والعلم بالبصيرة، وأصحاب الأبصار أكثر من أرباب البصائر.[1]

[1] لمزيد من التفصيل انظر أبوحامد الغزالي: ميزان العمل، ص ٤٧ – ٥٠ ،وانظر أيضا آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي للامام النووي في مقدمة مجموعه.

- **وظائف المتعلم: حدّد الامام الغزالي للمتعلم أيضًا عشر وظائف؛ أولها: طهارة النفس عن ردئ الاخلاق. ثانيها: أن يقلل علائقه من الأشغال الدنيوية. ثالثها: أن لا يتكبر على العلم واهله ولا يتآمر على المعلم. رابعها: أن الخائض في العلوم النظرية لا ينبغي أن يصغي أولاً إلى الاختلاف الواقع بين الفرق والشبه المشككة والمحيرة. خامسها: للمتعلم أن لا يدع فناً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطّلع به على غايته ومقصده وطريقه، ثم إن ساعده العمر وأتته الأسباب طلب التبحّر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض. سادسها: أن لا يخوض في فنون العلم دفعة، بل يراعي الترتيب، فيبدأ بالأهم فالمهم، ولا يخوض في فنّ حتى يستوفي الفن الذي قبله. فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض، والموّفَق مراعي ذلك الترتيب والتدريج. سابعها: إن العمر إذا لم يتسع لجميع العلوم، فينبغي أن يأخذ من كل شيء أحسنه، فيكتفي بشمة من كل علم، ويصرف الميسور من العمر إلى العلم الذي هو سبب النجاة والسعادة، وهو غاية جميع العلوم، وهي معرفة الله على الحقيقة والصدق. فالعلوم كلها خدَم لهذا العلم، وهذا العلم حرّ لا يخدم غيره. ثامنها: أن تعرف معنى كون بعض العلوم أشرف من بعض فإن شرف العلم يدرك بشيئين: أحدهما بشرف ثمرته، والآخر بوثاقه دلالته. تاسعها: أن تعرف أنواع العلوم بقول جملي[١]. وعاشرها: للمتعلم أن يكون قصده في كل ما يتعلمه في الحال كمال نفسه وفضيلتها، وفي الآخرة التقرب إلى الله عز وجل. ولا يكون قصده الرئاسة والمال، ومباهاة السفهاء، ومماراة العلماء[٢].**

---

[١] يقولون لولا إرادة الله عمارة الدنيا، لارتفعت الحجب وزالت الغفلة وتوجه الخلق كلهم إلى سبيل الله، وترك كل فريق ما هو بعيد عن المقصود،ولكن كل حزب بما لديهم فرحون، وبه قوام العالم، بل لولاه لبطلت الصناعات. فلو لم يعتقد الخيّاط والحائك والحجام في صنعته ما يوجب ميله إليها، لتركها وأقبل الكل على أشرف الصنائع، ولبطلت كثرة الصنائع. فإن رحمة الله غفلتهم بوجه من الوجوه. وعليه حمل بعضهم قوله عليه السلام: "اختلاف أمتي رحمة"، يعني اختلاف هممهم، ولوعرف الكنّاس ما في صناعته لتركها، ولاضطر العلماء والخلفاء والأولياء أن يتولوها بأنفسهم. وكذلك الدباغة والحدادة والزراعة، وجميع الأمور فلولا أن الله تعالى حبّب علم الفقه والنحو ومخارج الحروف والطب والفقه في قلوب طوائف، لبقيت هذه العلوم معطّلة، ولتشوش النظام الكلي. ابوحامد الغزالي: ميزان العمل، ص٤٥ -٤٦.

[٢] لمزيد من التفصيل حول هذه الوظائف ومعرفة أهميتها في معالجة كثير من قضايانا اليوم انظر ابوحامد الغزالي: ميزان العمل، ص ٤٢- ٤٩.

هذه الوظائف اذا نظرنا اليها وجدنا فيها تشخيصًا وتوصيفًا وعلاجًا لمعظم مشكلاتنا اليوم فيما يتعلق بفوضى المعلومات والعلوم الزائفة[١] التي ساعدت على انتشار التشكك بين الشباب نتيجة عدم طلبهم العلم بترتيبه الصحيح، وعدم حرصهم على امتلاك أدواته السليمة، خاصة فيما يتعلق بالعلوم الشرعية[٢]، مما نتج عنه سوء فهم لمنظومة الشريعة ككل، وكذلك في إعمال مفرداتها في حياتنا اليومية، مما تسبب في نفور بعض الشباب من الدين.

- علم النفس عند الغزالي: يبدو أن خبرة الغزالي الواسعة جعلته يعطي للتجارب أهمية خاصة، فجعل ينظر إلى السلوك البشري نظرة تقعيدية، فكان أشهر من وضع قواعد سلوكية للمريدين وطلبة العلم، وكذلك نجد لديه نظرة تشريحية واقعية تعنى بالتعليم المنبثق من ملاحظة الوقائع اليومية"[٣]. فهو يرى أن النفس كالبدن لا تُخلق كاملة، بل تكمل بالتربية والتهذيب، وأن العادات والأخلاق تتغير بتطور الإنسان، فأقام منهجه في الأخلاق على مجاهدة النفس لاكتساب الفضيلة، والفوز بالسعادة. ويرى أن السعادة تنال بتزكية النفس وتكميلها، وأن تكميلها باكتساب الفضائل كلها. فقد نظر إلى النفس الإنسانية في نزوعها، واضطرابها، وما يختلج فيها من أهواء، وما يعترضها من أوهام وخيالات، وتناول الفضائل والرذائل بالدرس والتحليل، فأبان عن خبرة بالنفس الإنسانية. لقد أقام مذهبه في الأخلاق على البعد النفسي، فالبعد الاجتماعي، ثم البعد الديني، ومنطلقه في كل ذلك؛ قابلية الأخلاق والسلوك للتعديل، يريد بذلك ما تحدثه التربية من زرع قيم إنسانية ترقى به وتجعل منه مواطنا صالحا ينشد سعادة الدارين. من أجل هذا كله يقرر الدكتور احمد فؤاد الاهواني في تقديمه لكتاب الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، أننا "نستطيع أن نقرر في غير تردد أن الذي صوّر هذا العلم عند المسلمين هو حجة الإسلام أبو حامد

---

[١] للوقوف على ماهية هذا النوع من "العلوم" انظر بن جولديكر: العلم الزائف، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، ط١ ٢٠١٥م مؤسسة هنداوي. وكذلك العلم الزائف وادعاءات الخوارق، ادوات المفكر النقدي: جوناثان سي سميث ترجمة: محمود خيال، ط١ ٢٠١٦م المركز القومي للترجمة.

[٢] من أهم ما رصدت اثناء عملي مع المراهقين ان البعض منهم يميل الى خطاب ديني يمكن ان نسميه ب"الثوري"؛ ينطلق من كون الدين في معركة وينتظر محاربا، ومن ثم فهو فهو خطاب بائس لا يرتّب فكرا ولا يؤصّل علما ولا يضيف جديدا، بل انه في الغالب لا يفرّق بين المعرفي والايدلوجي، ولا بين الوحي وتفسيراته، ولا بين الظني والقطعي، ولا المحكم والمتشابه...الخ. هذا الخطاب يكرّس للعناد والرفض المسبق او القبول المطلق، وتقديس الافراد، وشخصنة قضايا العلم والمعرفة.

[٣] عادل العوا: في مقدمته لكتاب الغزالي: "الاقتصاد في الاعتقاد"، ط١، بيروت – دار الأمانة – ١٩٦٩م ص١٠.

الغزالــي"[١]. فحين أراد أن ينظر في أسباب فساد المجتمع من حوله، وطرق علاجه وإصلاحه، فكّر في القوانين النفسية التي يخضع لها السلوك، ورجع إلى الأصول النفسية المبثوثة في القرآن، باعتباره دعوة إلى الاستقامة على الطريقة، وهداية للبشر إلى الصراط المستقيم. كما استفاد من الدراسات الفلسفية السابقة، ومن المباحث النفسية لدى علماء الكلام، لصلتها بالعقيدة الدينية، ثم إنه غاص في التجربة الصوفية، وتعمق أحوال النفس في قلقها، وفي مواجدها ومقاماتها، "فهو يتحدث في إحيائه عن أنواع السلوك ودوافعه الفطرية والمكتسبة ثم يصف بعمق حال الفرد في سلوكه وتأثره بالبيئة والمجتمع، وأخيرا يبين كيفية العلاج والسمو بهذا السلوك في ضوء نور اليقين والمعرفة بالله. هذه المراحل الثلاث طبّقها الغزالي عند الكلام عن كل باب من أبواب علم النفس: الدوافع، ثم الظواهر، ثم التسامي، وهو في ذلك لا يخرج عن أي عالم نفساني حديث"[٢].

إننا إذا نظرنا إلى الواقع المشاهد لوجدنا أن الاهتمام بالبدن والعقل فقط مع عدم الانتباه للنفس، وإهمال تزكيتها، فسيكون النتيجة: شخصًا كثير العبادة، كثير المعلومات، لكنه منتفخ الذات، يرى نفسه كبيرًا، وغيره صغيرًا، لأن عبادته وأوراده وبذله، في الغالب، ستغذي إيمانه بنفسه وبقدراته، وأنه أفضل من غيره، فيتمكن منه، بمرور الأيام واستمرار الإنجازات و النجاحات، داء العُجْب، ومن وراءه الغرور والكبر، فيُعرِّض نفسه لمقت ربه وحبوط عمله. ومع انعكاس النمو الإيماني على وضوح الرؤية لآيات الله المختلفة، فإنه أيضًا ينعكس على طريقة استقبال العبد لها، وتعامله معها فتجده يربط النعم التي تَرِد عليه بالله المنعم، ويفرح بفضله سبحانه ويستكثر على نفسه هذا الفضل، ومن ثَم تهيج مشاعر الامتنان لله عز وجل في قلبه ليعيش حالة القلب الشاكر. وفي أوقات المحن والبلايا تجده سرعان ما يعود به إيمانه إلى الصبر وعدم الجزع أو التسخُّط، بل ومن المتوقع، مع استمرار النمو الإيماني، أن يعيش المرء في حالة الرضا عن الله، فيسكن قلبه مهما تقلَّبت به الأحداث. وباستمرار النمو الإيماني يزداد فهم العبد لأحداث الحياة وتقلباتها وبخاصة المؤلمة منها لتتحول كلها في نظره إلى عطاء من الله عز وجل ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [٣].

ما أحوجنا اليوم إلى استدعاء مثل هذه الأطروحات والمعالجات التي يزخر بها تراثنا الإسلامي لتكون لنا نبراسا في تحليل واقعنا المعاصر والتعامل معه بما يناسبه من رؤى وأدوات. إن التعمق

[١] عبدالكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط٢ ١٩٨١م مكتبة وهبة ص٥.

[٢] المصدر السابق: ص٦.

[٣] سورة التوبة: ٥١.

الفلسفي والبعد الواسع للمعارف ليس هدفًا في حد ذاته، بل هو وسيلة من وسائل التحقق بالمعارف والعلوم والوصول إلى الهدف الأسمى ليتحقق له التوازن في حياته خلال رحلته في معرفة الله، حتى تهدأ نفسه ويطمئن عقله، فينطلق في الكون مبدعًا ومعمرًا كما أراد الله عز وجل. هذا التكامل في الطرح والاتزان في المعالجة لا نجده إلا في المذهب الأشعري؛ مذهب أهل والسنة والجماعة، "من خلال "التفويض"[١] كمنهج، و"الصديقية" كمقام، والذي أوجزه أبوبكر الصديق ﷺ لما أُخبر بطريق طلب الاستنكار أو الاستفسار عما حدث لصاحبه ليلة الاسراء والمعراج فقال: "والله لئن كان قاله لقد صدق" دون الحاجة للرجوع إلى أدنى درجات الإثبات وهي الإدراك الحسي. فهل هذا المنهج هو مجرد اتباع محض للمقدس وإغلاق لأعين العقل عن طرق الاستدلال كما يعتقد البعض؟"[٢]

إن الناظر إلى منهج التفويض أو التصديق من حيث إنه نتيجة لمقدمات ومراحل منهجية يدرك أنه من أعمق المناهج في الفكر الإسلامي، فهذه المرتبة ليست بداية لعموم السالكين لطريق الحقيقة– كما يتوهم البعض– ولكنها نتيجة لمنهج استدلالي متعمق بيّن مراحله الإمام الغزالي في تقسيمه الثلاثي: "أن ما لا يُعلم بالضرورة ينقسم إلى ما يُعلم بدليل العقل دون الشرع، وما يُعلم بالشرع دون العقل، وما يُعلم بهما معًا"[٣]. فليس كل تصديق مبني على الاستدلال العقلي، وإلا لما احتجنا إلى رسل يبلغوننا مرادات الله ويخصّصون لنا ما تجوّزه العقول من أوجه تصوراتها الممكنة لكل ما غاب عنها. هذه القاعدة تصلح أيضا في باب درء التعارض بين العقل والشرع؛ فلكل مجاله وحدوده، إلا أنهما يتكاملان بغية الوصول إلى الغاية الكبرى في هذا الوجود وهي معرفة الله عزوجل والإقرار له بالوحدانية ومن ثم إفراده بالعبودية والتسليم له سبحانه.

وكذلك تأسيسه لنظرية العادة، من خلال التمييز بين أقسام خمسة من المعارف اليقينية وهي؛ الأوليات، والمشاهدات الباطنة، والمحسوسات الظاهرة، والمعلومات بالتواتر، وأخيرًا التجريبيات؛ والتي يُعبر عنها باطراد العادات، وذلك مثل حكمك بأن النار محرقة، والخبز مشبع، فالعقل هنا يحكم بواسطة الحس،

---

[١] **التفويض**: هو مذهب السلف ويقصدون به تفويض معاني المتشابهات الى الله وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة، ويستدلون على ذلك بدليلين أحدهما عقلي والآخر نقلي. انظر شرح جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم الباجوري مراجعة وتقديم: عبدالكريم الرفاعي، ١٣٩١هـ، ص ١٦٢.

[٢] سونيا لطفي الهلباوي: الهرمنيوطيقا من منظور الفكر الاسلامي، بحث منشور بمجلة الزهراء الصادرة عن كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالقاهرة جامعة الازهر، العدد ٣١، ص ١٩٥٨.

[٣] الاقتصاد في الاعتقاد: ص١٣٢.

وبتكرر الإحساس مرة بعد أخرى، إذ المرة الواحدة لا تحصِّل العلم. يقول الإمام الغزالي في كتابه محك النظر: "وإذا تأملت هذا الفن حق التأمل، عرفت أن العقل نال هذه بعد الإحساس والتكرر بواسطة قياسٍ خفي ارتسم فيه ولم يثبت بعد شعوره بذلك القياس؛ لأنه لم يلتفت إليه، وكأن العقل يقول: لو لم يكن هذا السبب يقتضيه..لما اطرد في الأكثر، ولو كان بالاتفاق لتخلف..وهذا الأمر يحرك أصلًا عظيمًا في معنى تلازم الأسباب والمسببات، والتعبير عنها باطراد العادات"[١]. ثم يتابع الإمام الغزالي نظريته في كتابه تهافت الفلاسفة قائلًا: "الاقتران بين ما يُعتقد في العادة سببًا وبين ما يعتقد مسببًا، ليس ضروريًا عندنا، بل كل شيئين، ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا.. فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر"[٢]، بل إن سبب هذا الاقتران مرجعه إلى قدرة الله عزوجل وتقديره، وأنه في مقدور الله عزوجل فك هذا الاقتران متى شاء.

هنا لا بد أن نتساءل مع الغزالي عن الدليل على كون النار هي فاعل الإحراق؟ سنجد أنه لا دليل للقائلين بذلك سوى مشاهدة حصول الاحتراق حين ملاقاة القطن للنار، والمشاهدة تدل على الحصول "عندها لا بها". إذن الطبيعة لا تؤثر بذاتها، بل هي مسخَّرة، وقوانينها ليست حتمية؛ فحوادثها ترجع إلى العادة. والقدرة الإلهية المطلقة هي التي تختار وضع معين لربط الممكنات بعضها ببعض. لهذا أنكر الأشاعرة "ضرورة" التلازم بين الأسباب والمسببات، وذلك من خلال إنكارهم للحتمية الطبيعية وأخذهم بمبدأ الجواز والإمكان الذي رأينا كيف يتوافق مع معطيات العلم الحديث، بل وجعلهم أخص وصف لله تعالى هو القدرة المطلقة، حتى صار الأصل الأصيل عندهم: استناد جميع الممكنات إلى الله القادر المختار ابتداءً وبلا واسطة.

هذا قليل من كثير وُفق فيه أئمة المذهب الأشعري وفي مقدمتهم الإمام الغزالي، بخلاف غيرهم من الفرق والمذاهب والتيارات الفكرية ممن يركزون على جانب دون آخر مما تسبب في وجود خلل في تصوراتهم الدينية الأساسية فنتج عن ذلك مشاكل لاحصر لها كما نرى في واقعنا المعاصر.

---

[١] أبوحامد الغزالي: محك النظر، طبعة دار المنهاج، ط١ ٢٠١٦م، ص١٢٠.

[٢] أبوحامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، ط ٨، ص٢٣٩.




## المحور الرابع

## التحصين من الإلحاد الجديد، سبل ووسائل

ترتبط عملية التحصين ومتطلباتها بكون الابناء أمانة وضعها الله بين أيدي الآباء وهم مسؤولون عنها، فإن أحسنوا إليهم بحسن التربية كانت لهم المثوبة، وان اساءوا تربيتهم استوجبوا العقوبة. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته"[١] ومن القيام بالمسئولية وأداء واجبها؛ حسن التربية في كافة جوانبها باعتبارها مطلب أساسي خاصة في المراحل العمرية الأولى التي تتشكل فيها شخصياتهم بمقوماتها المختلفة على كافة المستويات المعرفية والتربوية والنفسية والاجتماعية.

إن تشكلات الوعي الأولى للإنسان تكون في مرحلة الطفولة، وأغلب المصطلحات والمقولات التي تسترق سمع الطفل في مراحله الأولى تبقى معه بقية حياته، تؤثر في نفسه وفكره. وانطلاقا من هذه القاعدة تقوم جماعات التطرف اللاديني في وقتنا الحالي بملء وعي الأطفال بالمقولات والأفكار التي تؤسس للمفارقة بينهم ودينهم من جهة، وبينهم وثقافتهم ومجتمعهم من ناحية أخرى. لذلك فان الحل الأمثل التي تقرره المؤسسات والمنظمات التربوية والتعليمية؛ أن التربية المتوازنة والتعليم الجيد، خاصة في المراحل المبكرة من عمر الإنسان، هو العلاج الأمثل والحصن المكين من الوقوع في مشكلات عدة تتراكم لتظهر وتتبلور في مراحل البلوغ والشباب.

لذا فإن ما سأطرحه هنا من متطلبات التحصين يمكن الاستفادة منه في باب الوقاية عن طريق التأسيس والبناء في مختلف جوانب شخصية الطفل، قبل أن يصل إلى مرحلة التمرد والاعتراض على فعل الطاعات والانصياع لأوامر إله لا يراه، لأنه إذا وصل الى هذا المستوى فإنه سيكون بحاجة إلى طرح آخر ومعالجة أخرى بآليات وأدوات مختلفة. وهو ما تشير اليه العديد من نتائج الدراسات[٢] وما قامت به الباحثة من من رصد لحالات متعددة في مراحل عمرية مختلفة.

---

[١] رواه البخاري ومسلم.

[٢] هناك العديد من الدراسات التي تشير الى ذلك من بينها: دراسة قامت بها مبادرة طابة للدراسات المستقبلية تحت عنوان: آراء الشباب في التدين والخطاب الديني لعام ٢٠٢١م، وكذلك ما ورد في "أدوات التعليم المفقودة" للكاتبة: دوروثي سايزر

مستويات التحصين:

إننا الآن في أشد الحاجة إلى معالجة هادئة تقوم على المرونة والجاذبية والتفاهم واستخدام الحد الأدنى من السلطة والشدة، خاصة في ظل التقدم والانفتاح واتساع مساحة الحرية ودائرة الفردانية. وهو ما يفترض معه أن يكون التحصين من خلال مستويات متعددة كالتالي:

١- مستوى نفسي تتم فيه تهيئة الطفل نفسيًا وروحيًا للمعاني الإيمانية من خلال ذكر اسم الله على كل شئ ، خاصة في أوقات الفرح والسرور، وكذلك شكره على كل نعمه مهما كانت بسيطة مما يساعد في بناء علاقة قوية بين الطفل وربه أساسها الحب، مما يؤثر إيجابًا في نفسه، ويعرف أنه متعلق بإله رحيم قريب يراه ويسمعه ويحبه، حتى نسد الباب أمام رياح معضلة الشر بعد ذلك.

والتربية النفسية لها أثر عظيم على المتلقي حتى إنها لتنقل صاحبها من فئة إلى فئة مناقضة لها تمامًا، كما أخبر بذلك الرسول في قوله: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه"، والابناء يولدون مزوّدين بقوى فطرية تصلح لأن تُوجّه للخير كما تصلح لأن تُوجّه للشر وعلى الآباء أن يستفيدوا من هذه القوى ويوجهونها وجهة الخير ويعودوهم على العادات الحسنة حتى ينشأ الطفل نشأة خيّرة ينفع نفسه وينفع أمته.

ومن أهم الركائز التي يقوم عليها هذا النوع من التربية: استخدام ثقافة الحوار والنقاش في بناء وتعزيز ثقة الطفل بنفسه؛ لأن الحوار هو الحصن الذي يمنحهم الثقة في ذواتهم، كما أنه يحميهم من خطر الإجابات المغلوطة أو المضللة التي ربما يحصلون عليها من الآخرين. فينبغي على المربي أن يتعاهد الإيمان فى نفوس الناشئة والسعى لتنميته وزيادته، وتعميق معانى الإيمان والارتقاء بالقلوب حتى تجد حلاوة الإيمان، وليس أنفع من ذلك من الحوار. إن التربية الإيمانية عن طريق الحوار هو منهاج دلّنا عليه القران والسنة:

- الحوار من أجل تثبيت العقيدة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

---

بجامعة اوكسفورد، والذي قامت مؤسسة طابة بإعادة نشره عام ٢٠٠٨م، وايضا دراسة قام بها مركز دراسات الشرق الأوسط بالرياض في المملكة السعودية العربيةعام ٢٠١٩م، وكذلك المركز البحثي الأمريكي بيو فوروم للدين والحياة العامة.

[1] سورة الأعراف: ١٤٣.




- الحوار من أجل محاربة الشرك والضلال، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].
- الحوار من أجل التعليم، كما جاء في حديث المسيء صلاته: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصّلى، فسلّم على النبي ﷺ، فردّ وقال: "ارجع فصل فإنك لم تصل"، فرجع يصلي كما صلّى، ثم جاء فسلّم على النبي ﷺ، فقال: "ارجع فصل فإنك لم تصل" ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أُحسِن غيره، فعلمني، فقال: "إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تّيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها"[2].

"فالحوار مع دلالته على تردد الحديث بين اثنين أو اكثر، إلا أنه لا يحمل صفة الخصومة، وإنما يحمل صفة الحرص على العلم والفهم والاطلاع. إن الدافع الأساسي للمحاور الجيد ليس إقناع من يحاوره بوجهة نظره وجعله يقف إلى جانبه، وإنما دافعه الأساسي ان يُري محاوره ما لا يراه"[3]. إن الحوار لا ينبغي أن يكون أسلوبًا نستخدمه داخل الأسر والمدارس فحسب، وإنما ينبغي أن يكون أسلوب حياة، لأنه حيوي للجميع، والبديل عنه سيئ وعواقبه وخيمة، وكثيرًا ما يكون هذا البديل هو القهر والكبت والانعزال والأنانية وتصلب الذهن وفقد الثقة في نفسه وفي من حوله وفي ما يدعونه إليه. وفي المقابل نجد أن الحوار والاحتواء يتم من خلاله إشباع الجانب العاطفي لديهم مما يعينهم على تخطي الأزمات النفسية والتقلبات المزاجية المرحلية، وبذلك نكون قد أحرزنا عددا لا بأس به من النجاحات التربوية على الصعيد الفكري والنفسي والاجتماعي.

٢- مستوى مجتمعي ويقصد به مجتمع المدرسة في المقام الأول، حتى لا يكون هذا المجتمع أداة هدم لما يقوم به الأب والأم. وتبرز أهمية هذا المستوى في درجة تكامله وتوفير حاضنة وسياق حافظ لما يقوم به المربون ومؤسسات التنشئة الاجتماعية. وهو ما يتجلى بوضوح من خلال دور مجتمع المدرسة الذي لا يقتصر على المعلم فقط، وخاصة معلم التربية الدينية وحصة الدين، بل يشمل

---

[1] سورة البقرة: ٢٥٨.

[2] رواه البخاري ١/١٨٤.

[3] عبدالكريم بكار: محاصرة الشرور، ط١ ٢٠١٠م دار السلام، ص.٤٩

أيضا الاهتمام بالمقررات والمناهج التعليمية وضرورة إعادة النظر فيها بما يتوافق مع متطلبات البناء والتحصين ووسائله. فتنظيم المقررات الدينية يساعد على بلورة فلسفة تربوية تنسجم مع التصورات الإسلامية[١]. نعم هناك إشكالية في علاقه التربية بمجتمع المعلومات والمعرفة، مصدر هذه الإشكالية هو الإيقاع السريع والمتزايد لمجتمع المعلومات و المعرفة مقارنة بالإيقاع البطئ نسبيًا الذي تتسم به عمليات التطوير التربوي المحكوم بدوره بقوانين التغير الاجتماعي، الأمر الذي يؤدي إلي حدوث فجوة زمنية بين مطالب التغير الاجتماعي بالتدفق المعرفي و بين اداء المؤسسات التربوية واستجابتها لتلك المطالب.

إن التربية مشكلة وحل؛ والتقدم الهائل الذي أحدثته الثورة التقنية في المعلومات والاتصالات في كثير من أقطار العالم الغربي و الشرقي، إذا نظرنا الى الجانب الإيجابي منه، ما هو إلا تقدم تربوي في المقام الأول فقد استطاعت النظم التربوية في هذه البلاد أن تخرج شرائح متزايدة من البشر المبدعين القادرين علي قيادة التغير وتوجيهه علي النحو الذي يحقق لهم مطالبهم ويحفظ لهم توازنهم الداخلي والخارجي. فالتربية علم بناء البشر وصناعة الإنسانية، فإذا عجزت التربية عن أن تبني إنسانًا قادرا علي اختيار وانتقاء وعلي إنتاج المعرفة وتوظيفها وعلي مواجهة التحديات وتصور الاحتمالات واستشراف المستقبل، فمآل كل جهود التنمية إلي فشل محتوم، مهما توفرت الموارد الطبيعية والبشرية.

وكما تسعى المؤسسات الحكومية وغير الحكومية لرفع مستوى العلوم والمعارف لدى أبنائها جيل المستقبل الباني أركان الوطن ثقافةً وحضارةً، الحارس ماضيها العريق، فينبغي تخصيص جانبا من هذا السعي لشؤون التربية الدينية، والإشراف على تطبيق مناهجها بعناية فائقة، بعد إعادة النظر في هذه المناهج والمقررات من قبل متخصصين وخبراء في المجالات المختلفة، دينية وتربوية ونفسية واجتماعية، لتوافق جميع الأعمار والمستويات؛ بدءاً من مرحلة رياض الأطفال إلى مراحل التعليم العالي والمتخصص، وتقوم المؤسسات المعنية بالإشراف على هذا العمل حتى يتم وضع الأساس الذي يُعتمد عليه، وكلما كان الأساس متيناً استطعنا أن نصل إلى أعلى المستويات .

---

[١] خاصة المقررات الدينية التي تقدم لمن تم وضعهم في تحدي كبير بإدخالهم مدارس دولية "انترناشونال" تتبني مناهج ومقررات غربية وتدرسها باللغات الأجنبية وفق ثقافاتها الغربية، فأصبحوا بعيدين عن لغة القرآن والثقافة العربية.

أيضا لا بد من إعادة النظر في دور المعلم وضرورة تأهيله وصناعته ليصبح علي منهج الأنبياء، فلا يعمل علي تدريب الطلاب علي مهارات واتجاهات تمليها مراكز الصناعة وقوى السياسة، خاصة معلم التربية الدينية مع ضرورة تزويده بما يحتاج من علوم ومعارف ومهارات وخبرات حتى يتسنى له آداء مهمته في التنشئة الدينية على الوجه الأكمل. وهذا إنما يتم بالتوازي مع إعادة النظر في المناهج والمقررات الدينية التي تقدم للأطفال خاصة ما يتعلق بجانب الاخلاق[١]، إذ أن النمو الخلقي يتزايد عند الطفل بالنمو المعرفي الذي يرتبط هو الآخر بالنمو الاجتماعي، لأن الأخلاق وجه من وجوه المعرفة، ولأن القيم الخلقية يتعلمها الفرد عن طريق الاحتكاك بالمجتمع من حوله، لهذا لا بد من الاهتمام بالمستوى التالي.

٣- مستوى علمي: حيث إن تنظيم المقررات والمناهج التعليمية، وخاصة الدينية، يساعد على بلورة فلسفة تربوية تنسجم مع التصورات الاسلامية، علي هذا الأساس يجب أن تؤكد مناهج التربيه الإسلامية على ما يلي: أن الكون كتاب الله المفتوح وأنه هو المصدر الثاني من مصادر العلم و المعرفة بعد الوحي، وأنه مخلوق حادث و ليس أزليًا؛ لم ينشأ من ذات نفسه بل أنشأه الله بعد ان لم يكن. مع بيان أن الطبيعة مخلوقة، و ان الله سبحانه و تعالي نظّمها و خلق فيها قوانينها التي يسعى الإنسان لاكتشافها والاستفادة منها في عمارة الأرض و ترقية الحياة، فالكون مقدّر و مسخّر ومخلوق بحكمة ولغاية وكل شئ فيه محسوب بدقة ليؤدي وظيفته و يحقق الغاية من خلقه. مع التاكيد علي ان أقوات الارض مقدّرة فيها منذ خلقها الله و أن فيها الكفايه اذا تم استثمار ما فيها بالعلم و العدل وفق منهج الله. وان الكون غيب و شهود، والإيمان بالغيب هو أول صفات المتقين، وأن الإنسان يتعامل مع مفردات عالم الغيب كما أمره الله، ويتعامل مع مفردات عالم الشهادة بالدراسة و البحث و اكتشاف قوانين الله فيها وتسخيرها لإعمار الحياة كما أراد الله.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما أحدثه الفصام بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية في مناهج التربية المعاصرة؛ لقد ظهر الصراع بين الانسانيات والعلوم الطبيعيه بشكل واضح في القرن الثامن عشر الميلادي عندما قادت النجاحات الكاسحة في ميدان العلوم الطبيعية الي الاعتقاد بانه يمكن الوصول إلي معرفه كل شئ، بما فيها حقيقة الإنسان بنفس الطرق المستعملة في موضوعات العلوم

[١] معظم المناهج المدرسية القائمة لا تهتم بالقواعد الأخلاقية الضرورية لتنظيم حياة الانسان وعلاقات الجماعات. كما ان الثقافه المدرسية السائدة تمتلئ بالممارسات التي تتصف بالهيمنة، وتهدف في الغالب الي ترويض الطلاب وتدريبهم علي حياه الاذعان والانقياد للاوامر.

الطبيعية. وهذا ما رفضه علماء الإنسانيات؛ لأن طبيعة الإنسان تختلف عن طبيعة الجمادات والنباتات، ونتيجة ذلك اتسعت الهوة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.

كذلك انعكست الخلافات بين أنصار العلوم الطبيعية وعلماء الإنسانيات علي المنهج التربوي فحالت دون تقديم أطروحات تحقق التوازن فيه. فالعلماء الطبيعيون أرادوا زيادة مقررات العلوم والرياضيات، بينما أراد علماء الإنسانيات نفس الشئ بالنسبه للعلوم الإنسانية. لكنهم وجدوا أنفسهم دائما في موقع الدفاع أمام ضغط المطالبة بزيادة التركيز علي العلوم والرياضيات، وصاروا يشعرون أنهم يخوضون معركة خاسرة؛ لأن الطرف الآخر يبدي اهتمامًا زائدًا بالمهارات التكنولوجية ويهمل القدرات المعنوية والإبداعات الأخلاقية. وفي العقود المتأخرة بدأ مفكرو الغرب الحديث يحسون بالخسارة التي أصابت التربية الحديثة نتيجه لانفصال العلوم الطبيعية عن بصائر الوحي. من ذلك ما ذكره ارنست شوماخر في كتابه دليل الحائرين حيث قال: "إن الخرائط المعرفية التي أنتجها العلم الحديث المادي تترك كل الأسئلة التي تهم الإنسان بدون إجابة. وما زال الوضع من سيئ الي اسوأ لأن التطبيق الصارم للطريقة العلمية علي جميع الموضوعات دمّر ما تبقي من حكمه القدماء علي الأقل في الغرب نفسه"[1]. إن الفصل بين الوحي من ناحية و العقل و الحواس من الناحية الأخرى يؤدي إلي ميتافيزيقا تعددية محيرة للمعارف، تقود الي الاعتقاد بالنسبيه التي لا تفرز معيارا واحدًا ولا قيمة موحدة، فيتنكب الناس عن الصراط المستقيم وتتعدد بهم الطرق المؤدية الى الانهيارات الاجتماعية و المهالك العقدية، ومن ثم يقع الإنسان فريسة للشك والحيرة.

نخلص من هذا إلى أن التربية لها جانب معلوماتي معرفي، والتعليم فن دراسة المعلومات والمعارف وتطويرها وتوظيفها، ووظيفه التعليم في عصر المعرفة ليست مجرد تنشئة اجتماعية وترسيخ للهوية فحسب، وإنما أيضًا إعداد الأجيال الواعية القادرة علي التصدي لسلبيات المجتمع و تغيير واقعه في سبيل حياة أفضل. هذا لا يعني أن التعليم مجرد وسيلة لتلبية مطالب المجتمع و رغبات أفراده عن طريق المعرفة، وإنما يجب النظر إليه علي أنه نزعة إنسانية أصيلة، وهدف في حد ذاته به ومن خلاله يتحقق الوجود الإنساني، لأنه المدخل إلي حياه أكثر ثراء ووعيًا وعمقًا وحيوية.

وهو ما يقودنا إلى جملة من التساؤلات الرئيسية والفرعية المرتبطة بحياة البشرية، تندرج جميعها تحت ثلاثة أسئلة: هي سؤال الماضي (من أين وكيف جئنا؟) وسؤال الحاضر (لماذا نحن هنا؟

[1] إرنست فريتز شوماخر: دليل الحائرين؛ خريطة معرفية لقراءة ونقد المذهب العلموي والمادي، ترجمة: مركز دلائل، ط١ ٢٠١٧م، ص٩٧.

وماذا نفعل؟) وسؤال المستقبل (إلى أين سأذهب؟)، هذه الثلاثية ترتبط بها ثلاثية أخري يمكن صياغتها كالتالي:

أسئلة عن الله سبحانه وتعالى: أين الله؟ من خلق الله؟ ما شكله؟ لماذا لا نراه؟ وعن الإنسان ودوره: لماذا خلقنا الله؟ لماذا أمرنا بعبادته؟ هل محتاج الى عبادتنا؟ وعن الحياة (الدنيا) وطبيعتها: لماذا توجد الآلام والأمراض والحوادث والموت والفقر؟ (تفكيك معضلة الشر). الأمر الذي يعكس انشغال الإنسان على مدار حياته، من بدايتها الى نهايتها، بهذا النوع من الأسئلة الوجودية وإن اختلفت صِيَغها بساطة أو تعقيدًا. وأسئلة الأطفال، على كثرتها، يمكن حصرها أيضًا في ثلاث: ماذا؟ كيف؟ لماذا؟ ومن أحق حقوق الطفل الإجابة عن أسئلته بشكل كاف ومقنع حتى تطمئن نفسه وتتسع مداركه، خاصة إذا تم ذلك على أساس من الود والملاطفة[1]. يتضح ذلك في الصورة المثلى للتربية الحسنة كما يرويها القرآن الكريم في قصة لقمان الحكيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾[2].

فنلاحظ تدرج التربية وأخذه بالاهم فالمهم، في خطوات أو مراحل متتابعة ومتكاملة كما يلي:

– جانب العقيدة متمثلا في قوله: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]، وبعد تثبيت العقيدة واستقرارها في قلبه وعقله ينتقل إلى الجانب التطبيقي لها.

– العبادة متمثلة في التوجه إلى الله بالصلاة، وإلى الناس بالدعوة الى الله، والصبر على التكاليف والابتلاءات.

– الجانب الخلقي والتربوي الذي يتمثل في آداب الدعوة إلى الله وحسن الخلق في التعامل مع من حوله.

في هذه الخطوات الثلاث سنجد التعريف الجامع للدين في ثلاثيته؛ العقيدة والشريعة والأخلاق، كما وردت في حديث جبريل عليه السلام (حديث أم السنّة) عندما جاء يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، ليعلّم الصحابة دينهم، وفي الحديث إشارة أيضًا إلى أهمية السؤال باعتباره باب كبير من أبواب العلم.

---

[1] ومدرسة النبوة حافلة بالرحمة وخفض الجناح، فقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن يعاملوا أولادهم بالرفق واللين ويضرب لهم المثل بما يمارسه هو بنفسه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التيمي فقال: "إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله ﷺ: "من لا يرحم لا يرحم" رواه البخاري

[2] سورة لقمان: ١٢.

[3] سورة لقمان: ١٣.

ثانيا سبل التحصين:

١- على رأس هذه السبل يأتي النظر الى القرآن على أنه كتاب هداية علينا أن نقتبس من أنواره، فالقرآن الكريم هو الوسيلة العظيمة والمتفردة التي قامت بتغيير الصحابة، "فالقرآن الكريم كان هو الباب المفتوح والمباشر الذي ولجه الصحابة الكرام إلى ملكوت الله، حيث صُنعوا على عين الله .. إنه السبب الوثيق الذي تعلقت به قلوبهم، فأوصلهم إلى مقام التوحيد"[١]، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كتاب الله، هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض"[٢]. يقول الجيوسي في كتابه التعبير القرآني والدلالة النفسية: "القرآن الكريم كتابٌ لا كأي كتاب، فهو يُتلى بطريقة مرتب، على أصول منظمة، يجب أن تُراعى فيه قواعد القراءة وأصول الأداء، وهذا مما اختص به القرآن الكريم على سائر الكتب، وورود الأمر بذلك في الآيات الأولى من مرحلة نزول القرآن"[٣]. إن مشكلتنا الرئيسة في تعاملنا مع القرآن والتي تمنعنا من الانتفاع الحقيقي به هي ضعف إيماننا به، ومحدودية نظرتنا إليه كمصدر متفرد لتحصيل العلم والإيمان، ومن ثَمَّ التغيير، فلا يُمكن للتربية الإيمانية أن تتم بمراحلها المختلفة دون التعامل الصحيح مع القرآن، وهذا لن يحدث إلا إذا زادت الثقة فيه، كمصدر متفرد لتنوير العقول والقلوب، وتزكية النفوس ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ ﴾ [٤]. يتأتى ذلك من خلال:

- فقه التحفيز: عن طريق طرح أسئلة قرانية على الأولاد حتى ينشغلوا بالبحث عن إجابتها فيه، فالقران قد أرشدنا إلى هذه الطريقة بورود الكثير من الأسئلة فيه مثل: ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [٥]، فالله عز وجل يعلم أن ما بيمينه عصا، ولكن المطلوب هو تركيز انتباه موسى عليه السلام لأقصى درجة. والقرآن مليء بالتوجيهات والمعاني الإيمانية التي تسبقها أسئلة، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [٦]، وقوله:"﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾ [٧]. والسنة كذلك مليئة بتوجيهات ومعانٍ إيمانية تسبقها أسئلة قال ﷺ: أتدرون من المفلس؟ ومن التحفيز التذكير بفضل العمل مثل قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ

---

[١] فريد الأنصاري: التوحيد والوساطة في العمل الدعوي، ص ٤٦.

[٢] أخرجه الطبري (٣١/٤)

[٣] عبدالله الجيوسي: تعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني – سوريا، ص ( ١٦٤، ١٦٥) بتصرف.

[٤] سورة التغابن: ٨.

[٥] سورة طه: ١٧

[٦] سورة الصف: ١٠.

[٧] سورة الكهف: ١٠٣.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [١].

- فقه التشجيع: بالتعبير عن الحب مثلما فعل رسول الله ﷺ وهو يقول لمعاذ بن جبل: يا معاذ: والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تَدعَنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك"[٢]. وعن أَنس قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وَسَلَّمَ يدخُلُ عَلَينا، وكان لي أَخٌ صَغِيرٌ، وكان لَه نَغْرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمات، فَدخل النَّبِيُّ صَلَّى الله علي وَسَلَّمَ ذَات يوم فَرآه حَزِينًا، فَقَال: "ما شأْن أَبِي عُمَيْرٍ حزِينًا؟ فقالوا: مات نُغَرُهُ الَّذي كان يلْعب به يا رسول الله، فَقَال: يا أَبَا عُمَير، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ "[٣].

وسائل معينة على ذلك:

– القصة: لها دور بارز في تحريك المشاعر، وإبراز العواطف، وتثبيت الأفكار في الأذهان، فهي لا تحتاج إلى جهد كبير لنقل أفكارها إلى النفس؛ لأن من شأن النفس الإنسانية إذا مرَّت بحدث من الأحداث أن تتفاعل معه. كما لا يخفى ما للقصة من دور في التأثير على نفوس المخاطبين بها، إذ لا تنتهي القصة إلا ويكون المستمع أو القارئ أو المشاهد قد عاش في تجربة نفسية، وقطع رحلة طويلة بحسب طول القصة، تترك في النفس آثارًا وجدانية وروحية.

– ضرب المثل: له أهميته في تقريب الصور والمعاني إلى الأذهان، يقول بديع الزمان النورسي في فائدة ضرب الأمثال: "إنها تُظهر الحقائق البعيدة جدًّا أنها قريبة جدًا، وتوصل إلى أسمى الحقائق وأعلاها بسهولة ويسر. ومن فوائد المثل إبراز صورة معنوية في صورة حسية فيتقبلها العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الأذهان إلا إذا صِيغت في صورة حسية قريبة الفهم.. فيكون وقعها التأثيري أقوى وأومض في النفوس والعقول"[٤]. والقرآن والسنة والسنة بها الكثير من الأمثال التي تُقرب المعاني البعيدة في صور قريبة محسوسة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥]. ومما جاء في السنة قوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٦].

---

[١] سورة البقرة: ٢٦١

[٢] أخرجه أبو داود (٨٦/٢، رقم ١٥٢٢)، والنسائي في الكبرى (٣٢/٦، رقم ٩٩٣٧)

[٣] مسند أحمد ج٢١ ص٤٥٦.

[٤] بديع الزمان النورسي: المكتوبات من كليات رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٦ ٢٠١١م، ص٤٨٧.

[٥] سورة الزمر: ٢٩

[٦] متفق عليه: أخرجه: البخاري ( ٦٢/٩ برقم ٧٠٧٥ )، ومسلم (١٩٩٩/٤)، رقم ٢٥٨٦.

**-استخدام وسائل عصرية:** مثل الصور الحية ومقاطع الفيديو والتطبيقات المفيدة المتاحة عبر شبكة المعلومات لأنها أقوى تأثيرًا وتعلقًا في ذهن الطفل.

**-الاستفادة من الأحداث غير المألوفة:** يزداد إرهاف الحس، وتأجج المشاعر، ويقظة العقل عندما تحدث أمام المرء أحداث غير مألوفة، خصوصًا إذا تأثر بها فيصبح على درجة عالية من الاستعداد للتلقي، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث مؤخرًا من انتشار فيروس كورونا (كوفيد ١٩)، مع ما أحدثه من تغيرات عالمية، مما أثار العديد من الأسئلة الوجودية.

٢- التدريب علي النقد الذاتي الذي يحمّل صاحبة المسئولية في النقص الذي يحدث والخطأ الذي يقترف ولا يبحث عن مبررات خارجية، فالقرآن الكريم يندد بأصحاب التفكير التبريري في مختلف المواقف والممارسات. من ذلك تنديده بالتفكير الفرعوني وهو ينسب الإنجازات والأعمال النافعة لآل فرعون، بينما ينفي مسئولية المصاعب والمشكلات عن فرعون نفسه وعن نظام حكمه ويحملها للتطرف الديني الذي ينسبه الي موسي عليه السلام وأتباعه.

٣- تعزيز مهارات التفكير النقدي وتنمية هذا النوع من الحس لديه؛ لأنه إذا غاب فيسهل وقتها التأثير عليه والتشويش على فكره، ومن ثم انجذابه واستقطابه نحو أي فكر أو جماعة. إن الإيمان اليقيني بالفكر يعمق الثقة بالنفس ويدفع للتفاعل مع الآخرين والانفتاح علي خبراتهم أنى كانت. أما العصبية الدينية فتفرز الجمود والانغلاق وتشيع الريبة والشك وتنشر التقليد والأمية الفكرية.

٤- فتح نوافذ العقل للمعرفة وعدم الانغلاق على فكر بعينه، مثال ذلك: لو أن رجلاً سافر إلى مكان ما للنزهة والاستجمام، وأقام في حجرة بأجمل فندق في هذا المكان، هذه الحجرة تطل على مناظر ساحرة وخلابة تخطف بالأبصار، وكل جهة من جهاتها بها عدد كبير من النوافذ المغلقة والمغُطاة بالأستار، فما كان من هذا الرجل إلا أن سأل عن النافذة التي تطل على مدخل الفندق، والساحة المحيطة به حيث تقبع سيارته، وظل طيلة وجوده ينظر من هذه النافذة فقط ويراقب حركة القادمين والمغادرين، ويطمئن على سيارته، وبعد انتهاء مدة إقامته، وبينما هو يغادر الفندق إذا به يلتقي بصديق له كان يقيم في نفس المكان، وإذا بحالة من الانبهار تسيطر على هذا الصديق والتي ترجمتها كثرة حديثه لصاحبنا عن المناظر الخلابة التي رآها، وأشعة الشمس وهي تتعانق مع صفحة الماء، وألوان الأشجار والأزهار التي تسر الناظرين وغيرها، ويستمر حديث الصديق والرجل يقف مذهولاً، فهو لم يرَ أي شيء من هذا لأنه لم يحاول فتح النوافذ التي تمتلئ بها حجرته، واكتفى فقط بفتح واحدة منها لم تنقل له إلا جزءًا يسيرًا مما رآه صديقه! بلا شك ستتملك هذا الرجل مشاعر الحسرة والندم على ما فاته من متعة، وسيظل يقول في نفسه: يا ليتني حاولت فتح النوافذ الأخرى، يا حسرتي على الإجازة التي لم أستفد بها إلا يسيرًا. هكذا نحن في رحلة الحياة لا بد أن ننفتح على

الكون من حولنا نتعرف على مكوناته ونتفاعل مع مفرداته حتى نستفيد منها في رحلتنا الى الله.

٥- التاكيدعلي أن عنصر الجمال مقصود في بناء الكون؛ في ظواهره و في الحياة المبثوثة فيه، وأن إيقاظ ذوق الجمال في البشر مقصود في المنهج القرآني والثقافة الإسلامية.

٦- إبراز الجوانب السمحة والقواعد السلسة من ديننا العظيم ليتعلمها الشباب فيفخروا ويعتزوا بدينهم ونبيهم. إن المستويات السابقة للتحصين وما تطرحه سبله ووسائله من مقتضيات يشير الى محدِّدين اثنين يجب أخذهما في الاعتبار؛ أولهما يتعلق بالافراد والثاني خاص بالمؤسسات؛ حيث إن تكامل المحددين شرط أساسي لتفعيل الوسائل على كافة المستويات، وان كانت البداية ترتبط بالفرد كما يلي:

أولا ما يتعلق بالأفراد:

- الاستعانة بالله على تربية أولادنا وتقريبهم منه سبحانه والدعاء لهم أمامهم.
- فهم طبيعة كل مرحلة، فمرحلة الطفولة تنقسم الى مراحل جزئية متداخلة.
- المبادرة بوضع البذرة ورعايتها والتدرج معها.
- ربط الأطفال بالله واختيار الأوقات الأنسب لذلك.
- إدراك التنوع والاختلاف بين الأطفال وبين الأجيال وبعضها البعض.
- فهم دوافع السؤال عند الطفل (لغوية فقط- استكشاف- حب معرفة- تمرد- اختبار)
- الدخول إلى معرفة الله من باب الحب وباب شكر النعم، واغتنام الفرص والمناسبات والشعائر للتأكيد على ذلك.
- تنمية مهارة البحث والتفكير والتحليل لدى الطفل.
- ضرورة اختيار المرجع والمصدر المناسب لتلقي العلوم والمعارف.

عوامل مساعدة في طريق التربية:

- فتح باب الحوار والتساؤل خاصة في أوقات الطعام وأثناء اللعب.
- تحفيظ الأطفال قصار السور مع شرح بسيط لها مثل سورة الإخلاص.
- تعويد الطفل على ذكر الله وحمده على نعمه.
- تفعيل دور الأسرة الممتدة التي تشمل الأجداد وفروعهم.
- الاهتمام بمشاعر الطفل والتفاعل معها بشكل إيجابي لتعزيز الثقة بينه وبين مربيه.
- لفت نظر الطفل إلى مواضع الجمال من حوله خصوصًا في الحدائق والمتنزهات.
- استخدام الوسائل الحديثة لتقريب التصورات الأساسية إليه مثل الهاتف الذكي- الحرارة- الكهرباء- الجاذبية وغيرها.

- الحديث عن صفات الله تبعًا للمناسبات في حياتنا اليومية (الأكل – لدراسة – اللعب – التنزه – المرض)، وبذلك ينتقل الطفل من الحديث عن ذات الله إلى الحديث عن مخلوقات الله وآثاره وصفاته.

هناك بعض الممنوعات التي يجب أن يتجنبها المربون منها:

- رفض السؤال مهما كانت صيغته ومهما كان توقيته.
- تجاهل السؤال أو تجاهل الطفل وهو يسأل ويتحدث.
- التهرب من الإجابة بأي حجة مهما كانت.
- الاستسهال والرد بأي إجابة لمجرد إسكاته، أو لظهور المربي بمظهر العارف بكل شئ.
- تلقين إجابة تقليدية وسريعة؛ إذ لا بد من الصبر على الحوار والنقاش.
- الاعتماد على الترهيب والتخويف فقط، مما يؤدي إلى نفور الطفل من الدين والمربي معًا.
- كثرة الحديث عن النار والعذاب والشيطان، خاصة في سن دون السابعة.
- القسوة عليهم والتشدد معهم باسم الدين.

وبالنسبة للمؤسسات: خاصة الاجتماعية المعنية بعملية التنشئة والتربية، من الضروري أن نأخذ في الاعتبار حجم التغيرات والتطورات التي تحيط بابنائنا في مراحل تكوينهم ونموهم، وأن تتكامل أدوارها في تقليص الفجوات بين الأمية الدينية لدى المربين، ومع حجم المكون المعرفي والديني الذي تقدمه المدارس ووسائل الإعلام وهو ما يتطلب، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، تقديم مناهج ومقررات تعنى بالتربية الإيمانية، مع ضرورة تأهيل معلمي التربية الدينية، وكذلك_تأهيل الوعاظ والمتصدرين للخطاب الديني[1].

أيضا الوصول إلى شرائح مختلفة من المعنيين بعملية التربية الايمانية مثل الاهتمام بعقد فاعليات وأنشطة دورية في أماكن تجمع الأطفال والشباب كالمدارس والجامعات والأندية، للاستماع إلى أسئلتهم حول الدين والوقوف على اهتماماتهم، والإشكالات التي تدور في أذهانهم، لذلك لا بد هنا من التأكيد على مجموعة من المقدمات الضرورية:

١- التعامل بشكل علمي مع مشكلة الإلحاد الجديد من خلال أدوات ووسائل تتناسب مع هذا العصر ومتغيراته، وتتناسب مع الشرائح المختلفة من الأطفال والشباب.

٢- دراسة صفات وطبيعة الفئات المستهدفة، بهدف فهمهم واستيعابهم حتى يمكن الوصول الى أفضل الطرق للتعامل معهم، ومع التحديات التي يتعرضون لها هذه الأيام.

---

[1] جهل بعض الشباب بدينهم وتكاسلهم عن السعي لمعرفته وعدم صبرهم على تعلمه جعلهم يصدقون كلام بعض الرموز من "دجالي السوشال ميديا وشيوخ التريند"، فيخيل اليهم انهم يتعلمون دينهم، وهم في حقيقة الامر يخدعون انفسهم بما ينمي فيهم بذور التعصب والتشدد وحب الظهور .

٣- دراسة أبرز الضغوط النفسية التي تدفع الشباب في هذا الاتجاه (الشك والإلحاد)، ومن ثم يمكن تفاديها قبل تفاقمها.

٤- دراسة المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، خاصة تلك التي تؤثر سلبا على ابناء هذا الجيل.

٥- محاولة جمع المتاح من الدراسات الميدانية المتعلقة بالفئة المستهدفة وبظاهرة الإلحاد الجديد.

٦- محاولة تبسيط وترسيخ العقيدة الإسلامية بوسائل مختلفة لتصل إلي الاطفال وإلى مربيهم من خلال ورش عمل ومقاطع فيديو، وكتيبات ومطويات تقدمها المؤسسات المعنية بالتربية الإيمانية

بعض الإجراءات لوضوح الرؤية:

- وضع ضوابط عامة للتعامل مع الشريحة المستهدفة (جيل زد وجيل ألفا).
- الاستعانة بمتخصصين في علم النفس والسلوك وعلم الاجتماع وعلوم التربية.
- إيجاد آلية للتعاون والتشارك بين المسلمين والمسيحين بكافة طوائفهم، في مقاومة الإلحاد، حيث إن هذا النوع من الفكر يلقي بآثاره السيئة على الجميع..
- إعداد وتدريب كوادر شبابية كعناصر مساعدة في عمل الأنشطة والفعاليات.
- متابعة سلوك الاولاد والتحاور معهم، وعدم الانشغال عنهم، مع الاهتمام باي تغير يطرأ على أفكارهم وسلوكهم، وملاحظة المؤشرات التي توحي بوجود تغير او انحراف، كمؤشر العزلة الانفرادية السلبية، أو الاحساس الدائم بالاضطهاد، او نبذ أقرانه والتعالى عليهم، او تبني مقولات وأفكار شاذة من باب حب التفرد والتميز.
- تعزيز مهارات التفكير النقدي في سن مبكرة مع المحافظة على فطرتهم النقية قدر المستطاع حتى يكون لديهم فطرة سليمة توجههم ومعايير عقلية يقبلون الافكار أو يرفضونها على أساسها، وبهذا لن ينساقوا وراء الأفكار الشاذة والمتطرفة، ولن يكونوا فريسة للاستقطاب النفسي أو الأيدلوجي الذي تمارسه جماعات الإلحاد وتنظيمات العنف والارهاب.

## الخاتمة

تتجلى العلاقة الارتباطية بين التربية الإيمانية وضرورتها كمرتكز لمواجهة التحديات التي تواجه ابناءنا والعديد من فئات المجتمع، في صور وأشكال مختلفة تمس إيمانه وعقيدته بشكل مباشر، سواء في صورة أمية دينية أو تمرد او تشكك أو إلحاد صريح، نتيجة للعوامل العديدة التي كشف البحث عنها، والتي تتمحور حول الإجابة عن التساؤل عن كيفية البناء الإيماني للإنسان المسلم بوجه عام، والطفل المسلم بوجه خاص، كالتالي:

- التربية في الرؤية الإسلامية ليست مجرد تخريج جيل قوى بالمعنى المادي فقط؛ يأكل ويشرب ويدرس ليعمل ويتزوج لينجب أطفالًا وهكذا، فيكون شخصًا متمركزًا حول ذاته ورغباته فقط. وإنما لا بد أن يكون واعيًا بمراد الله من وجوده، حتى يستطيع تحقيق رسالته في الحياة، ونقلها إلى من بعده. فالدين جاء لبناء الإنسان في جوانبه المتعددة البدنية والعقلية والروحية، مع المحافظة على توازنه واتزانه، لينطلق في الكون معمرا ومبدعًا، فإذا ما حدث خلل في هذا البناء فإنه حتمًا سينعكس على فكره وسلوكه، وهذا ما نراه واقعًا اليوم، فما يحدث من تطرف (بنوعيه الديني واللاديني) هو نتيجة طبيعية لخطأ في المنهج وقصور في الرؤية وخلل في الناحية النفسية.
- التسليم بأنه لن يكون من السهل إحداث التحول المفاجئ في حياة أطفالنا، وتحميلهم بكل المعارف الدينية والواجبات الشرعية دفعة واحدة، لذلك لا بد من البناء الإيماني المتدرج الذي يبدأ في مرحلة الطفولة المبكرة، من خلال الحوار معهم والاستماع اليهم باهتمام، والأهم محاولة الإجابة عن أسئلتهم مما كثرت وتسلسلت.
- كثرة التساؤل ظاهرة صحية نابعة من حب الاستطلاع، وبملاحظة الأطفال سنجد أن "لماذا؟" و"كيف؟" هما أكثر الكلمات التي تترد على ألسنتهم، مع بداية وعيهم وانفتاحهم على العالم الخارجي ومكوناته، خاصة مع الخروج إلى الروضة، والاختلاط بأشخاص مختلفين خارج إطار الاسرة، فيبدأون في سلسلة من الأسئلة لا تنتهي. وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على الشغف المعرفي لديهم، ورغبتهم في استكشاف العالم من حولهم.
- على السادة المربين أن يستمعوا للنشء الجديد ويشاركوه اهتماماته ويتفهموا ما يتعرض له هذا الجيل من تحديات غير مسبوقة، ومن ثم يبذلون جهدهم في استخدام بعض الوسائل والأدوات التعليمية الحديثة للتواصل معه وتوصيل المعارف والخبرات المختلفة إليه، مع توفير بيئة آمنة

للحوار والنقاش ومد جسور الثقة بين المربي والمتلقي، فكما يقولون: التعليم الجيد حصنٌ من التطرف.

- إدراك مخاطر سيطرة تيارات معينة كالوهابيين والإخوان المسلمين على مكتبة الأطفال الدينية، لأنهم أيقنوا أنه الطريق المضمون لصناعة جيل يؤمن بأفكارهم.
- إن مفهوم نقل المعارف والخبرات عبر التلقي المباشر من مربي (فيما يعرف عندنا بالسند المتصل) هو مفهوم عالمي له علاقة بالحفظ والاستمرارية لما ينقل من معارف، سواء كانت في المجالات الدينية أو العلوم الطبيعية أو حتى في الحرف اليدوية والفنون، لذا لا بد من العناية به وتفعيله بطرق وأدوات تناسب هذا العصر.

واتساقا مع المتطلبات السابقة وأهمية بلورة رؤية متكاملة لكيفية البناء الإيماني للإنسان المسلم، وخاصة الطفل المسلم، لا بد من مراعاة عدد من القضايا أو الإشكالات التي أوضحتها محاور البحث، من أهمها:

١- الحاجة الى إحصاءات ودراسات استقصائية وميدانية وكذلك استطلاعات رأي لمعرفة مدى انتشار الأفكار والتيارات والمذاهب الجديدة وتفاعل الناس معها. أيضًا الحاجة الى قياس أثر المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية ومدى فاعليتها ومواكبتها لتطور المجتمع وتغيره، ومدى تطوير أدواتها للتواصل مع الفئات والشرائح المختلفة.

٢- هناك إشكاليات تتعلق بالخطاب الديني منها عدم الإشراف الكامل على المساجد والجمعيات الأهلية ذات السمة الدينية التي تستهدف تعليم الأطفال في سن مبكرة وكذلك منصات التواصل الاجتماعي التي تستهدف المراهقين والشباب.

٣- الإجابات التقليدية الجاهزة لم تعد تصلح لهذا الجيل المنفتح على العالم بكل ما فيه، وهو جالس بغرفته، بل لا بد من الحوار الهادئ والنقاش البناء وتشجيعهم على البحث الجاد ومتابعتهم والصبر عليهم. والرجوع لاهل الاختصاص، وهنا تكون المشكلة حيث لا يوجد جهات محددة واضحة يمكن للمربين الرجوع إليها عند الحاجة.

٤- الحاجة إلى إعادة النظر في مقررات التربية الدينية وتأهيل معلميها، فمن أهم ما نحتاجه اليوم هو قيام مؤسسات تربوية تخرّج لنا نماذج جديدة من العلماء الذين يحسنون إبراز جمالية هذا الدين بجانب إظهار المنهج الحق في الاعتقاد، وأيضًا تكون لديهم الكفاءة العلمية التي تؤهلهم لاعتلاء المنابر والمنصات الجديدة.

٥- يمكننا فتح مساحات أخرى لدراسة الدين وأبحاثه من منظور وجودي حقيقي، من رؤية قادرة على النفاذ إلى روح الدين وحقيقته، وإزالة ما حاول البعض إلصاقه به وكان سببًا في بُعد الناس عن خالقهم، هذا على مستوى المجموع. كذلك على المستوى الفردي نجد أن الانسان يعاني من أزمة سببها الحقيقي هو حالة الجفاف الروحي، تلك الحالة التي تتسم بفقدان اليقين الديني وفقدان الإيمان بالسمو والتعالي على الوجود المادي. ولا حل لتلك المشكلة إلا بالبناء الإيماني الصحيح والمتوازن والمتدرج من الطفولة وتعهده في مختلف المراحل.

٦- التأكيد على أن الإلحاد سيظل حالة فارغة معطَّلة من أي دلالة حقيقية وموضوعية، ما لم يكن هناك ما يمكن الإلحاد به. فالملحدون يعيشون في أزمة حقيقية، سببها تلك الحالة الروحية التي تتسم بفقدان الإيمان واليقين والاطمئنان. لم تكن هناك عبارة أبلغ من توصيف مآلات التنوير في الغرب بأنها حداثة ضد الله. لقد بات الملحد يركن من أول أمره إلى تلك الجملة الاعتراضية: لن أؤمن بما يؤمن به المؤمن بالله الواحد الأحد، ما دمت لا أرى الدليل على هذا الإيمان عينًا وواقعًا وحسًا.

٧- فكرة الصراع بين العلم والدين أو بين العقل والدين فكرة غريبة على عالمنا الإسلامي، بل والأغرب هو عزو هذه الفكرة إلى تراثنا الإسلامي. كيف ذلك وقد حثّنا القرآن الكريم على النظر وإعمال العقل والتفكر في آيات الكون، وأمرنا بذلك رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، الأمر الذي جعل المتكلمين الأوائل يفتحون الباب على مصراعيه أمام البحث العلمي الجاد في سبيل الوصول إلى الحقيقة. لم يكن ذلك إلا لأنهم على يقين بأن ما يعتقدونه حق، والعلم القائم على أسس علمية صحيحة حق، والحق لا يُضاد الحق، بل يؤيده ويعضده، فما كان منهم إلا أن قالوا: "كلُ علمٍ يُسهم في تدعيم العقيدة هو قريبٌ من الحقيقة". لذلك لا بد من إعادة الاهتمام بعلم الكلام الإسلامي وعلم أدب البحث والمناظرة ومحاولة تبسيطهما، لنستطيع من خلالهما أن نقوم بالدور المطلوب منا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

٨- لقد قام الأولون بواجبهم في زمانهم وأودعوا في كتبهم نظريات وقواعد فكرية مهمة، ولم يقتصروا على المجادلة والمعارضة، بل أقاموا الأدلة والبراهين، معتمدين في ذلك على ما أرشدهم إليه الكتاب العزيز من الطرق الاستدلالية ودقائق المناهج العقلية. علينا إذن أن نقوم بواجبنا ولن تصح البداية الا بالمشاركة في مناقشات علمية جادة، للإجابة عن السؤال المهم: أين نحن من النظريات العلمية العالمية وخاصة نظريات فلسفة العلم؟

٩- واجب الوقت هو استخراج الكنوز المعرفية من التراث الإسلامي، وتقديمه للبشرية للاستفادة منه في الواقع والمستقبل، فالموروث الإسلامي في استطاعته الإجابة عن كثير من الأسئلة التى تؤرق الغرب، من خلال تقديم نموذج معرفي جديد يحقق التوازن لحياة الإنسان، من خلال التوجه الى كافة أبعاده الوجودية من جسد وعقل وروح، والفرصة سانحة الآن أمام المؤسسات الدينية، وخاصة الأزهر الشريف باعتباره المرجعية الإسلامية السنية في العالم.

١٠- التحولات العالمية السريعة في السنوات الأخيرة، والوتيرة التي يخطو بها التقدم العلمي والتكنولوجي في الفترة الراهنة، ستطرح على الفكر الإنساني ضرورة إعادة النظر في كثيرٍ من قِيَمه السياسية والأخلاقية والروحية والمعرفية التي كانت سائدة. هذا كله من شأنه أن يتيح الفرصة أمام النموذج المعرفي الإسلامي لتقديم نفسه بصورة عالمية تليق به، وبشكل مستقل بما يمتلك من رؤى وأدوات، ومرونة في الفهم والتطبيق، وليس عن طريق ما يحاول البعض فعله من توليف النموذج الحداثي الغربي مع النموذج الإسلامي، إذ الحداثة لا تقبل الشراكة؛ لأنها ترى أن مقولاتها كونية، كما أن مشروعهم المعرفي دنيوي بحت، هدفه الإخلاد إلى الأرض. هذا بدوره سيفتح الباب أمام مناقشات متخصصة حول ما يتعلق بأسلمة العلوم، وإسلامية المعرفة، للوقوف على أبعاد هذه القضية، ومحاولة حسمها بشكلٍ قاطع.

١١- التحذير من أخطار الأمية الدينية، والتي من الممكن أن يتصاعد فيها حالات سوء الفهم والجهل إلى عدوانية وإيذاء وعنف، والواقع العالمي يؤكد هذه الحقيقة، فإدراك التأثيرات الدينية المعقدة يُعد بُعدًا بالغ الأهمية، لاستيعاب الشؤون الإنسانية المعاصرة. على الرغم من وجود هذا الوعي، لا تزال الأمية الدينية متفشية حول العالم. وهناك العديد من التداعيات المترتبة على هذه الأمية، لكن أكثرها إلحاحًا هو تأجيجها لنيران الصراع والعداءات، ووقوفها كعائق لمساعي التعاون في كافة ميادين الخبرة البشرية. لذلك لا بد من التأكيد على دور الأفراد ودور المؤسسات العلمية والمجتمعية، وتعميق فكرة الحوار المجتمعي، وتفعيل ذلك الحوار والبناء عليه خاصة من جانب المراكز البحثية المهتمة بهذا الشأن.

١٢- علينا أن نتحمل مسئولية خطابنا الديني التقليدي السائد، لأنه كان أحد أسباب اتجاه بعض شبابنا إلى الإلحاد. ولنكن على يقين أنه لن يتم الخروج من هذه الأزمة الدينية والروحية، إلا بتجديد هذا الخطاب بما يتناسب مع متطلبات العصر ومستجداته، وذلك من خلال تقديم الإسلام للشباب في صورته البسيطة التي بدأ بها النبي ووسعت الجميع، صورة كان أساسها العقل، وملؤها الرحمة، وقوامها حسن الخلق.

١٣- ضرورة الضغط الفكري الجماعي من خلال الطرح الهادئ والواعي والمسؤل، فالاسلام طبيعته إصلاحية لا ثورية، هكذا بدأ وهكذا ينمو بالبناء والتدرج كما تعلمنا من المنهج النبوي الشريف، وليس عن طريق فرضه بالقوة كما يحاول البعض أن يفعل فتكون النتيجة عكسية.

١٤- إن جملة القضايا الجوهرية التي تناولها هذا البحث تثير جملة من الأفكار التي تتطلب رؤية مجتمعية واعية، حتى يمكن تحويلها إلى حزمة من البرامج والأنشطة والفعاليات التي تساعد على الوصول الى التكامل والتوازن بين العقل والروح والجسد باعتبارها الأبعاد الاساسية في الشخصية الإنسانية، وهو ما يقودنا الى حوار مجتمعي تقوم عليه المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، الدينية وغير الدينية، بهدف بناء الإنسان وتحصين المجتمع.

وختاما أود التأكيد على أهمية ضبط التصورات الكلية الأساسية لدى الطفل عن الله وعن الإسلام وأركانه، وكذلك الإيمان وشُعبه بشكل مبسط منذ البداية، مع ضرورة تقديم الإجابات المناسبة له. الأمر الذي يتطلب أن يكون لدى الأبوين الحد الأدنى من الثقافة الإسلامية حتى يتمكنا من تربية أولادهم تربية إيمانية، تثمر فيها معرفة الله وحبه وحب دينه ورسوله ﷺ، فيحدث لهم التوازن الجسدي والعقلي والنفسي، ومن ثم ينطلقون في حياتهم بعد ذلك منتجين ومبدعين ومحققين لمراد الله في خلقه.

نعم قد لا يستوعب الطفل حقيقة العقيدة والإيمان، لكن عقله يقوم بتخزين هذه المعلومات ويستخدمها حسب حاجته بعد ذلك، لذا لا بد من وضع البذرة ورعايتها والتدرج في تربيتها والترغيب فيما عند الله من الثواب والعطاء حتى يعظم حب الله في قلبه فتزداد صلته به ويقبل بعد ذلك على عبادته. مع الاستمرار في بناء التصورات الأساسية وضبطها لديه بالتدرج حيث إن التطرف اللاديني ينشأ بالأساس من وجود تصورات خاطئة ومشوهة عن الله وعن الإنسان ودوره في هذه الحياة. بالإضافة إلى أن شعوره بأن هناك إجابات منطقية مقنعة عن الله والدين يطمئنه ويزيد ثقته بنفسه وعقيدته وانتمائه. كذلك لفت نظره إلى مواطن الجمال في الكون، وحسن صنع الله في الكائنات من حوله، مع شرح مبسط لسنن الله في خلقه، وكيف أن هذا الكون يسير وفق قوانين وضعها الله فيه. علينا أن نكون مدركين لصعوبة المعالجة، والحاجة إلى وقت طويل، لكن لا بد من البدء لأننا كلما تأخرنا ازداد الأمر صعوبة وتعقيدًا وانتشارًا ، لذا لا بد من التكاتف وتفعيل جميع الأدوات المتاحة والتكامل بينها كلٌ في مجاله من أجل تحصين الفرد ثم المجتمع ثم الأمة.

## ثبت بأهم المصادر والمراجع


- إبراهيم الباجوري: شرح جوهرة التوحيد، مراجعة وتقديم: عبدالكريم الرفاعي، ١٣٩١هـ.
- ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ.
- أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، مج ٥ طبعة دار المنهاج ٢٠١١.
- أبوحامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ط١ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية.
- أبوحامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ط١ ٢٠١٥م، دار المنهاج.
- أبوحامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، ط٨.
- أبوحامد الغزالي: رسالة أيها الولد، ط٢ ٢٠١٤م، دار المنهاج.
- أبوحامد الغزالي: محك النظر، طبعة دار المنهاج، ط١، ٢٠١٦م.
- أبوحامد الغزالي: ميزان العمل، ط١، ٢٠١٨م، دار المنهاج.
- أحمد الفيومي: المصباح المنير، تحقيق: عبدالعظيم الشناوي، ط٢ دار المعارف.
- أحمد حسن: أسس غائبة، ٢٥ مسألة في مشكلة الشر. مركز دلائل ٢٠١٨م.
- أحمد خيري العمري: ليطمئن عقلي الإيمان من جديد بمواجهة "إلحاد جديد"، ط١ ٢٠١٩م.
- أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ط ٢ القاهرة، دار المعارف ١٩٦٨م.
- أحمد ماجد: لغة الإلحاد المعاصر بين شرطية لغة الدين وإعادة برمجة الإنسان، المحجة العدد ٣٢ عام ٢٠١٧م.
- ارنست فريتز شوماخر: دليل الحائرين؛ خريطة معرفية لقراءة ونقد المذهب العلموي والمادي، ترجمة: مركز دلائل، ط١ ٢٠١٧م.
- أسامة العتابي: دعاوى إلحادية في الفكر العربي المعاصر، ط١ ٢٠١٧م مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة.
- أليكس ماكفريلاند: عشرة أنواع للإلحاد، دوافع الملحدين والمتشككين، ترجمة: القس جورج عزت، ط١ ٢٠١٤م دار الثقافة.
- أيمن السيد عبدالوهاب: افتتاحية العدد جيل Z المصري، من مجلة أحوال مصرية الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد ٧٨ لعام ٢٠٢٠م

- بديع الزمان النورسي: المكتوبات من كليات رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٦ ٢٠١١م.
- بن جولديكر: العلم الزائف، ترجمة: مُحَمَّد سعد طنطاوي، ط١ ٢٠١٥م مؤسسة هنداوي.
- جوناثان سميث: العلم الزائف وادعاءات الخوارق، ادوات المفكر النقدي، ترجمة: محمود خيال، ط١ ٢٠١٦م المركز القومي للترجمة.
- حمد الله الصفتي: شخصية الأزهرية ومنهج الإصلاح، مجلة الرسالة الصادرة عن مركز الإعلام العربي السنة ١١، العدد ٤٢،عام ٢٠١٢م.
- دانيال سبيك: مشكلة الشر، ترجمة: سارة السباعي، المركز القومي للترجمة.
- زيجمونت باومان وليونيداس دونسيكس: الشر السائل العيش مع اللابديل، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية ٢٠١٨م.
- سامي عامري: مشكلة الشر ووجود الله الرد على أبرز شبهة من شبهات الملاحدة، مركز تكوين ٢٠١٦م.
- سونيا لطفي الهلباوي: الهرمنيوطيقا من منظور الفكر الاسلامي، بحث منشور بمجلة الزهراء الصادرة عن كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالقاهرة جامعة الازهر، العدد ٣١.
- شفيق جرادي: الإلحاد أيدلوجيا الإنسان المبتور، مجلة المحجّة، العدد ٣٢ عام ٢٠١٧م.
- صالح الشامي: الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، ط١ ١٩٩٣م، دار القلم.
- طه عبدالرحمن: سؤال العمل، بحث عن الاصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٢م.
- عادل العوا: في مقدمته لكتاب الغزالي "الاقتصاد في الاعتقاد "، ط١، بيروت – دار الأمانة ١٩٦٩م.
- عادل مصطفى: المغالطات المنطقية فصول في المنطق غير الصوري، ط١ –٢٠١٧م مؤسسة هنداوي.
- عبدالجبار الرفاعي: الدين والظمأ الانطولوجي، ط١ بغداد ٢٠١٦.
- عبدالكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط٢ – ١٩٨١م مكتبة وهبه.
- عبدالكريم بكار: محاصرة الشرور، ط١ – ٢٠١٠م، دار السلام.
- عبدالله الجيوسي: تعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني – سوريا.

- عبدالله بن صالح العجيري: ميليشيا الإلحاد، مركز تكوين، ط٢ - ٢٠١٤م.
- عبدالوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، ط١- ٢٠٠٦م، مكتبة الشروق الدولية.
- على جمعة: مكونات العقل المسلم، ط٢ - ٢٠٢١م، الوابل الصيب بالقاهرة.
- على حمزة زكريا: أنواع الإلحاد، ٢٠١٦م، شبكة الفكر.
- عمرو شريف: وهم الالحاد، ٢٠١٣م، هدية مجلة الأزهر لشهر المحرم ١٤٣٥هـ.
- فخر الدين الرازي: المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، نسخة وقفية الأمير غازي للفكر القرآني.
- فريد الأنصاري: التوحيد والوساطة في العمل الدعوي، ط٣ -٢٠١٩م دار السلام.
- فريد الأنصاري: جمالية الدين معارج القلب الى حياة الروح، ط٤ -٢٠١٤م، دار السلام.
- كامل عويضة: أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية، دار الكتب العلمية، ط١ ١٩٩٤م.
- كريسي موريسون: العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، دار وحي القلم، ط١ ٢٠١٣م.
- مجدي الهلالي: التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم، ط١ ٢٠٠٩م، مؤسسة اقرأ.
- مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكبرى وجود الخالق ووظيفة المخلوق، ط٨ ١٩٨٢م، دامشق.
- مُحَمَّد عبدالصمد مهنا: معالم المنهج الازهري، الرواق الأزهري بالجامع الأزهر.
- محمود حيدر: تديّن الإلحاد، مجلة الاستغراب، ربيع ٢٠١٧م.
- مشير باسيل عون: نظرات في الفكر الإلحادي الحديث من سلسلة في الدين والفلسفة، ط١ ٢٠٠٣م، دار الهادي.
- وليد المطري: سوسيولوجيا الأجيال على موقع اضاءات بتاريخ ٢٣-١٠-٢٠١٦م.

فهرس الموضوعات